***أولا : الشعر في عصر صدر الاسلام***

**تمهيد :**

**تحديد العصر ونبذة عن الأحوال العامة وملامح ذلك العصر :**

**يشمل عصر صدر الاسلام عصر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم ) والخلفاء الراشدين ، وقد اتفق كثيرمن الدارسين على ذلك ، أي تحديد عصر صدر الاسلام بدءا بالبعثة النبوية ، وانتهاء بتنازل الحسن بن علي ( عليهم السلام ) عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عام 41 هجرية (1) ، أي ان هذا العصر يشغل نصف قرن من الزمان تقريبا . على الرغم من أن بعض مؤرخي الأدب يعدون الفترة الممتدة من مبعث النبي الى سقوط دولة بني أمية ( 132 هه ) عصرا أدبيا واحدا يطلق عليه بعضهم عصر صدر الاسلام ، ويسميه الآخرون العصر الاسلامي .**

**إذن مصطلح صدر الاسلام يشمل الفترة الممتدة من البعثة النبوية الى بداية خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة 41 هه ، ويشمل عصر الرسول والخلفاء الأربعة**

**أهمية العصر وطبيعة الحياة في ظل الاسلام :**

**لعصر صدر الاسلام تفرد عن العصور الاسلامية اللاحقة فيما يخص طبيعة الأوضاع الفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فقد شهد المجتمع تغييرا جذريا في طبيعة الحياة وعلى صعيد الفرد والمجتمع مما كان له الأثر الكبير على الأدب شعرا ونثرا**

**من المسلم به ان الأدب يتأثر بالبيئة ويعكس ما يجري في المجتمع ، وفي هذه المرحلة تأثر الأدب شعرا ونثرا بالحياة الاسلامية الجديدة ومتغيراتها . لقد كان ظهور الاسلام أعظم حدث في تاريخ العرب فلابد ان يكون له ابلغ الاثر في حياة العرب ، فهو الذي غير معالم الحياة العربية ، وبدل المفاهيم والانظمة ، وسما بالانسان العربي الى عالم جديد من التفكر والتدبر لم يألفه من قبل .**

**\_ من الناحية الدينية \_ (2 )**

**لقد مثل الاسلام بتعاليمه ومثله ومبادئه وأهدافه ثورة على الحياة العربية الجاهلية بكل مجالاتها ونواحيها ، فعلى الصعيد الديني كان الاسلام ثورة دينية وفكرية عظيمة جاءت بكثير من القيم والافكار التي نسخت وغيرت كثير من الاعتقادات السائدة في الجاهلية ، لقد دعا الاسلام الى عبادة روحية سامية ، دعا الى عبادة الله ونبذ عبادة الاصنام وغيرها من الاعتقادات الاخرى ولفت عقول العرب الى ان هذا المعبود هو اله واحد ،وهو اله كل شيئ ، رب العالمين ، واحد لا شريك له ، خالق مبدع كل مافي الكون من صنعه ، لا يخفى عليه أمر ، قوي عزيز ، وسعت رحمته كل شيئ . كما نبه العرب الى حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا ، وأن هناك يوما للحساب يحاسب فيه المرء على ما قدمت يداه ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يرى ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) (3) وبذلك ربط مصير الانسان في حياته الأخرى الباقية بأعماله على الارض في حياته القصيرة الفانية .**

**كما لفت الأنظار الى ملكوت السموات والارض وحث على النظر فيه ، وتدبرصنعة الله ، والاستدلال بالخلق على خالقه ، وقد حارب الاسلام ما كان شائعا في المجتمع الجاهلي من خرافات وأوهام داعيا الى إعمال الفكر المنطقي الخالص ، والتأمل العقلي الصرف محركا العقول بالمعرفة ، وموجها الأذهان الى النظر والفهم والتدبر . وقد عزز الاسلام هذه الأفكار بفروض عملية تنظم علاقة المسلم بربه كما تعمل على تنمية الاحساس بالمسؤولية الاجتماعية نحو مجتمعه من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وأوضح أن هذه الفروض لا تقبل من المسلم الا اذا حسنت نيته ، وصدق ايمانه جين يؤديها فإنما الأعمال بالنيات كما روي عن الرسول . ومن حيث التربية والأخلاق فقد حرم الدين الاسلامي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، كالزنا وشرب الخمر وقتل النفس التي حرم الله قتلها والبغضاء والحسد . لقد حاول الاسلام مخاطبة العقل العربي ، وجعل للانسان قيمة كبيرة ، ودعا للرأي والاجتهاد ، ورسم طرقا جديدة من العلاقات بين المسلمين ، وبذلك خلق مجتمعا متكافئا تسوده المحبة والرأفة والمساواة ، وأصبح المثل الأعلى للانسان المسلم هو الخضوع لله والانقياد لأوامره ، والصبر على قضائه ، والقناعة ، وعدم التفاخر بالأنساب وتجنب الكبروالعظمة ، والتزام العدل ، والأمانة والاحسان .**

**وهكذا لقن الاسلام العرب الآداب العامة ، وعلمهم مناهج السلوك واللياقة ، وشدد القرآن على دعوتهم الى البر بالفقراء والمساكين ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والوفاء ، وكل ما هو خير . " وبهذه القيم الروحية يقوم الاسلام ، فهو ليس عقيدة سماوية وفروضا دينية فحسب ، بل هو سلوك خلقي قويم ، يدعو الى طهارة النفس ، ونبذ كل الفواحش والرذائل ، ومراقبة الانسان لربه في كل ما يأتي من قول أو فعل فإنه معروض عليه يوم القيامة ، يوم يجزى كل انسان بما قدمت يداه ..... " (4)**

**\_ من الناحية السياسية \_**

**لم يكن للعرب في العصر الجاهلي نظام سياسي موحد يحنكم علاقات العرب مع الأمم الأخرى أو فيما بينهم ، بل كانوا ينتظمون في قبائل ، وكانت العصبية القبلية أساس المجتمع العربي القبلي أو البدوي ، وكنتيجة لذلك فقد خضع العرب للنفوذ الأجنبي كالفارسي والبيزنطي ، ولكن بعد مجيئ الاسلام بمبادئه وقيمه الكبيرة والعظيمة وحد العرب وخلق لهم نظام سياسي واضح المعالم .**

**ان الاسلام أحدث ثورة سياسية وفكرية واجتماعية غيرت الكثير من القيم السائدة في المجتمع القديم ، وبدأ العرب يشعرون لأول مرة بالوحدة ، واضمحلت العصبية القبلية التي تصدى لها الاسلام وقضى عليها ، وانصهر العرب في وحدة اسلامية سياسية قوامها الأتفاق في العقيدة ، ونظام الحكم ، يدينون من خلالها بالطاعة لولي الامر في الاسلام لا لرؤساء القبائل وسادتها ، وينصاعون لحكم الاسلام لا لعرف القبيلة وتقاليدها الموروثة ، ويعتاضون عن الولاء للقبيلة والتفاني في خدمتها بالولاء للاسلام والتفاني في خدمته ، ونشر تعاليمه في ربوع الأرض ويلتمسون الحماية والأمن في ظل الاسلام لا بالانتماء الى القبيلة والاعتماد على نصرتها**

**\_ من الناحية الاجتماعية \_**

**حرص الاسلام على تأسيس مجتمع واضح الأعراف والمفاهيم في كل ما يتعلق بالحقوق والواجبات ، والروابط الانسانية ، ففي ما يخص المرأة والحياة الاسرية فقد أعلى الاسلام من شأنها وأكرمها ، وأوجب العنايىة بها ، والعطف عليها كما كفل لها حقوقها ، وحفظ كرامتها ، كما أوجب الاسلام لها نصيبا من الميراث تعزيزا لمكانتها واحتفاء بها ، كما سن الاسلام قوانين العدل الاجتماعي التي جعلت المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأجناسهم وألوانهم أخوة متساوين لا يفضل بعضهم بعضا بأية ميزة من جنس أو نسب أو ثراء أو نحوه مما تعارف عليه العرب في الجاهلية ، وانما يكون التفاضل بمدى الاجتهاد في الطاعة لله وتقواه , يقول عز وجل : " ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " ويقول الرسول في خطبة الوداع : " ياأيها الناس إن ربكم واحد ،وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى " (5) كما فرضت عليهم هذه القوانين أفضل نهج للتضامن الاجتماعي الذي يشيع بينهم المودة والرحمة ، وينتزع من قلوبهم البغضاء والحقد .**

**هذه نظرة عامة حاولنا من خلالها أن نلم بمدى الأثر الذي أحدثه الاسلام في حياة العرب العقلية والاجتماعية والسياسية والدينية ، واذا كان الأدب في أي مجتمع إنما هو صدى لما يدور فيه من أحداث ، وترجمان ما يعتمل في صدور جماعاته وأفراده من أفكار وأحاسيس ، ومرآة تعكس ما يصيب قيمه ومثله، وأوضاعه من تحول وتطور فقد كان حتما أن نتبع ما تقدم بالحديث عن الحياة الأدبية في صدر الاسلام لنرى الى أي مدى استجاب الأدب شعرا ونثرا لهذه الحياة الجديدة التي أضلت العرب براية الاسلام . ولكي تكون أمامنا صورة متكاملة للمؤثرات الجديدة التي أحدثها الاسلام يجدر بنا أن نخص القرآن الكريم بحديث يبين أثر القرآن الفاعل والمهم في حياة الأدب العربي عبر العصور الاسلامية ، وحتى أيامنا هذه ، بل وسيظل هذا الأثر متجددا في اللسان العربي وآدابه الى ماشاء الله .**

**من الناحية العقلية :**

**لقد ارتقى الاسلام بعقل الانسان ، فخلصه من الاوهام والشعوذة ، والتخلف ، إذ شجع على تحريك العقل واستعماله للكشف عن الامور التي تدور حول الانسان ، وأول ما دعا الى التدبر في خلق الله : خلق السماوات والارض ، وخلق الانسان ، والحيوان ، والرياح ، والشمس والقمر ، والنجوم والمطر ، وكل ذلك ، ونبه الى أن ذلك لم يخلق عبثا ، فلا بد من خالق ، ولابد من هدف ، ويلاحظ كثير من أيات القرآن تنبه الى ذلك وكأنها تدعو الى تفكر الانسان وإعمال عقله ، يقول الحق سبحانه وتعالى : " إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار " ومثله في قوله تعالى : " إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بماينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون " (6) ، وغيرها كثير كلها تدعو الى التفكير ، والتدبر في خلق الله .**

**ويتضح من ذلك أن القرآن يتجه الى العقل ، والعمل به ، في دعوته للتدبر في وجود الله وتنوع خلقه ، وعظمة قدرته ، فالقرآن يدعو المسلم أن يستغل عقله، ويدعوه للتأمل والنظر والحكم السليم ، ويشجع ذلك ، ويميز الانسان صاحب العقل الذي يستغل هذه النعمة لتستقيم حياته ويحقق راحته الابدية ، وبالمقابل يعيب الانسان الذي لا يستغل عقله ، ويلقي عليه باللائمة ، فيشبهه بالأنعام والدواب من الحيوانات ، يقول تعالى : " لهم قلوب لا يفقهون بها ولم أعين لا يبصرون بها ولم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون " (7) وإعمال العقل معناه الدعوة الى التعلم ورفع شأن العلم والعلماء ، وتشجيع القراءة " إقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " وقوله : " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب " " وللعلماء مكانة في المجتمع الاسلامي ، فقد حملوا أمانة الدين ، فكانوا مفسرين لآيات القرآن ، مستنبطين منها الاحكام بما يفيد الناس في أمور دينهم ، " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين " فالتفقه في الدين من مسؤولية الفقهاء والعلماء والمفسرين ، وعليه صار الاجتهاد بالرأي أصلا من أصول الاسلام ، حين لا يوجد نص مفسر في القرآن أو السنة .**

**وهكذا نخلص من كلامنا أن الاسلام رفع شأن العقل الانساني ، وشجع على صنوف المعرفة الدينية وغير الدينية**

**الفصل الأول**

**الإسلام والشعر**

**أثر الاسلام ( القرآن والحديث النبوي ) في اللغة والشعر .**

**تقديم :**

**القرآن الكريم مفخرة العرب في لغتهم ، إذ لم يتح لأمة من الأمم كتاب مثله لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثبر في النفوس والقلوب .**

**لقد أثار القرآن منذ اللحظة الأولى لنزوله دهشة العرب لما جاء به من جديد في أساليب التعبير ، وطرائق النظم والبيان جعله يعلق بأفئدتهم وأسماعهم ، ولا يملكون معه الا التسليم بروعة أثره في النفوس وفي العقول . فقد جاء القرآن على أسلوب بلغ في نظمه وإحكامه مرتبة لا يسامى فيها ، وهي مرتبة الاعجاز ، فكان القرآن أروع مثال لفن القول عند العرب لما اجتمع فيه من ضروب الاساليب وخصائصها على نحو جعل العرب يقفون أمام روعة نظمه موقف الاعجاب والذهول والحيرة .**

**ان القرآن الكريم معجز وأن إعجازه يكمن في صميم بسقه، في طريقته في نظم الجمل ، وتركيب الألفاظ ، والملاءمة الدقيقة بينها وبين المعاني ، ومراعاة الظروف ، ومواقف الكلام ، ومقتضيات الأحوال . لقد جمع القرآن أسلوب الفصاحة والغرابة ، والتصرف البديع ، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة ، ويتضح هذا في قول ابي بكر الباقلاني : ( فالقرآن أعلى منازل البيان ، وأعلى مراتبه ، لما جمع من وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته وحسن موقفه من السمع ، وسهولته على اللسان ، ووقوعه في النفس موقع القبول ، وتصوره تصور تصور المشاهدة .....) (1)**

**إن اسلوب القرآن وجه من وجوه إعجازه ، لم يستطع العرب محاكاته أيام النبي ولا بعده ذلك أن للقرآن نظاما خاصا في إداء المعاني التي أراد الله أن تؤدى الى الناس , يرى الدكتور صلاح الدين الهادي أن للقرآن أسلوبا بديعا يخالف أسلوب العرب الذي ألفته في كلامها من تقطيع وتسجيع وترسل ، لم يكن كشعرهم أوسجعهم الملتزم ، ولا كنثرهم المرسل ،وإنما هو آيات وفواصل لها مزاجها الخاص ، ومنهجها المتفرد في الاتصال والانفصال ، وفي الطول والقصر . والمتأمل في أسلوب القرآن الكريم يجده نسيجا وحده في النظم والتأليف والنسق البياني ،ة متميزا بطابع خاص من سائر الأساليب النثرية لا يدانيه أسلوب ، أو يرقى الى سموه بيان**

**أثر القرآن في اللغة العربية :**

**للقرآن الكريم أثر عظيم في نفوس العرب ، فهو الكلام المعجز الذي تحداهم في مجال التعبير والأفكار والمعاني والبلاغة مع ما عرف عنهم من البيان والفصاحة والتهذيب حتى أوشكوا أن يصيروا في هذا أمة واحدة باجتماعهم على بلاغة الكلمة وفصاحة المنطق ، ولما عجزوا عن ذلك اتهموا الرسول بأنه شاعر كما اتهموه بأنه ساحر ومجنون ، وهكذا تحداهم القرآن بأن يأتوا بعشر سور أو بسورة واحدة (2) . ومن آثار القرآن الكريم في لغة العرب :**

1. **أنه جمع العرب على لهجة واحدة وهي لهجة قريش ، وعلى الرغم من أن لهجة قريش كانت منتشرة ولكنها لم تكن سائدة ، فعمل القرآن على تقريب اللهجات العربية ، وإزالة ما بينها من فروق ، وجمعها على لهجة واحدة وهي لهجة قريش التي عليها نزل القرآن ، وتحدث بها الرسول ، فأصبحت السيادة للهجة قريش التي بها نزل القرآن ، وأخذت هذه اللهجة تعم القبائل ، ولما فتحت الفتوح ومصرت الأمصار أخذت هذه اللهجة تسود مشارق العالم الاسلامي ومغاربه**

**أما أسباب اختيار لهجة قريش لغة للقرآن الكريم فهي :**

1. **انها اللهجة التي تحدث بها الرسول الكريم فهي لهجة قبيلته قريش**
2. **أنها أفصح اللهجات العربية وأجملها**
3. **انها جمعت سمات وخصائص اللهجات العربية الاخرى**
4. **ان معظم العرب كانوا يتحدثون بها ويعرفونها**
5. **حفظ اللغة العربية وضمان بقائها وخلودها ، فالله عز وجل أخذ على عاتقه حفظ القرآن على مدى الدهر وهذا يعني حفظ لغة القرآن وهي العربية ( إنا أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) فالقرآن خالد ومحفوظ والعربية كذلك ، فهي محفوظة ومصانة من خلاله وبسببه ، بينما نجد لغات أخرى آلت الى الضياع والاندثار كاللغة الإغريقية ، والسنسكريتية ، وحتى اللغات العربية القديمة لم يبق لها وجود**
6. **انتشار اللغة العربية في أرجاء واسعة من الأرض ، إذ ساهم القرآن بعد انتشار الاسلام في أصقاع الأرض ، والحاجة الى قراءة القرآن واستنباط الاحكام الشرعية والأمور الشرعية منه ، والحاجة الى قراءته كفريضة على المسلمين في الصلوات الخمس وفي غيرها ، ساهم في انتشار اللغة العربية وأتاح لها الاتساع إذ انها اللغة التي كتب بها القرآن .**
7. **إثراء اللغة العربية . إذ ساعد القرآن على نشأة علوم جديدة لم يكن يعرفها العربي ، ولكنها نشأة وفق حاجة المسلمين لهذه العلوم من أجل فهم القرآن ، وتدبر آياته واستنباط الشريعة منها فقد نشأة على هامش القرآن وبسببه ومن أجله ، كعلم القراءات، والتفسير ، وعلم أسباب النزول ، وعلم النحو والصرف ، وعلوم البلاغة ، وعلم الفقه وأصوله ، ولا نبالغ اذ قلنا ان العلوم في العربية كلها إنما نشأة لخدمة القرآن ومن أجله .**
8. **القرآن هذب اللغة العربية من الالفاظ الغريبة والحوشية ، فأقامها على الاسلوب القرآني الواضح الذي يخلو من الزوائد وفضول الكلام ، فاللفظ على قدر المعنى ، وكأنه رسم له رسما ، فهو لفظ لا يرتفع عن الافهام ولا عن القلوب بل يقترب منهما حتى يلتمس الشغاف**
9. **اضافة ألفاظ جديدة الى معجم اللغة العربية فأثراها بدخول ألفاظ تخص العبادات والاحكام الشرعية والفقه ، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة ، وكذلك بإضافة معان وأفكار ومضامين كلها مستمدة من القرآن ولا عهد للعرب بها من قبل .**

**أثر القرآن في الأدب :**

**لما كانت اللغة العربية هي المادة الأولية للشعر والنثر العربي فقد تأثر الشعر والشعراء وانثر وأصحابه بالقرآن الكريم شكلا ومضمونا ، فالاسلوب القرآني ببيانه وجزالته وبلاغته ، وعذوبته هو الذي أقام عمود الأدب العربي منذ ظهوره ، فعلى هديه سار الخطباء والكتاب والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية مهتدين بديباجته ، وحسن مخارج الحروف فيه ، ودقة الكلمات في مواضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها ، وتجلي عن مغزاها مع المحافظة على الرهافة والحلاوة ، ولا زال العرب يتحفظون به فهو معجمهم اللغوي والأدبي الذي ساروا على هداه اختلفت أمصارهم . يقول الجاحظ : ( وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل ، وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن ، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار ، والرقة ) (3)**

**أثر الاسلام في الشعر .**

**يتجلى أثر الاسلام في الشعر في جانبين : أولهما معنوي ، وهو ما سبق وتحدثنا به**

**من خلال الحديث عن اثر القرآن في اللغة العربية وما أحدثه من نهضة في لغة الشعر يشار اليها بالبنان ، فقد فرضت لغة القرآن نفسها على ماسواها من لغات فكان لها الثبات أمام التقلبات والمحن ، وكان لها التطور والازدهار على مر الزمن ، ولأن اللغة هي مادة الشعر فلابد ان يزدهي الشعر ويسمو ويتنقى مما لحق به من ادران ، فقد عمل الاسلام على نفاء موضوعات الشعر والنثر والابتعاد بها عن كل ما لا يناسب خلق الاسلام ومبادئه ، فأصبحت نقية سامية تخدم المثل والقيم الجديدة ، ولم يعد الادب وسيلة لخدمة القبيلة إنما لخدمة الاسلام وأهدافه، وصار الادب والاديب متأثرين بالاسلام وما جاء في القرآن الكريم من ألفاظ ومعان ومضامين ،ة كما نجد ان الشعر في ظل الاسلام ارتقى الى السهولة والوضوح ، وابتعد عن الالفاظ النابية والغريبة والحوشية ، أما العواطف فباتت واضحة صادقة خالية من الكذب والمبالغة ، إذ يقول الشاعر والأديب ما يؤمن به ويراه حقيقيا . أما الجانب الآخر فهو الجانب المادي والمتمثل بالألفاظ والمعاني ، والصياغة والأسلوب ، وفي موضوعات الشعر وفنونه .**

**فمن حيث المعاني نجد الشعراء تأثروا بمضامين ومعان اسلامية وعبروا عنها بألفاظ مستوحاة من واقع الحياة الاسلامية الجديدة والقرآن الكريم ، مثال ذلك ماجاء من شعر عبد الله بن الحارث في أثناء هجرته الى الحبشة ، يقول : (4)**

**وتلك قريش تجحد الله حقه كما جحدت عاد ومدين والحجر**

**ويقول واصفا حال المسلمين في هجرتهم ، وعدوان قريش ومايلقاه المسلمون من عذاب على أيديهم : (5)**

**كل امرئ من عباد الله مضطهد ببطن مكة مقهور ومفتون**

**أنا وجدنا بلاد الله واسعة تنجي من الذل والمخزاة والهون**

**أنا اتبعنا رسول الله واطرحوا قول النبي وغالوا في الموازين وتبدو روح الاسلام واضحة في هذا اللون من الشعر من حيث الفكرة ، وأسلوب التعبير عنها والألفاظ المنتخبة للتعبير عن ذلك .**

**وبذات الشعور الديني المفعم بالأمل والفرح حيث الهداية للإيمان والدين الحق يقول عمرو بن الجموح يتنكر لضمه مناة الوثن المعبود ، ويشكر الله الذي أنفذه من الضلال والشرك ، فيقول : (6)**

**الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديان الدين**

**وتبدو روح الفخر الاسلامية واضحة في أقوال الشعراء ، فهذا أبو أحمد بن جحش يرد على زوجته التي لامته على الهجرة قائلا : (7)**

**الى الله وجهي والرسول ومن يقم الى الله يوما وجهه لا يخيب**

**ويفخر على قومه الذين ظلوا على الشرك ، ويرى بأنه الفريق المهدي الذي اتبع قول النبي فيقول : (8)**

**كفوجين أما منهما فموفق على الحق مهدي وفوج معذب**

**ورعنا الى قول النبي محمد فطاب ولاة الحق منا وطيبوا**

**وكثيرا مايفخر الشعراء بنصر النبي على أعدائه ومساندة الدين الجديد والايمان به ، وكان هذا بديلا عن الفخر الجاهلي بالآباء والأجداد والأمجاد والأموال ، يقول أبو قيس الأنصاري مفتخرا بما من الله عليه بالإسلام : (9)**

**فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسرورا بطيبة راضيا**

**ونعلم أن الله لا رب غيره وأن كتاب الله أفضل هاديا**

**فوالله لا يدري الفتى كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا**

**وقد اتجه الشعراء الى أسلوب الحجاج العقلي القرآني بدل أسلوب اللجاج الجاهلي في محاججتهم لكفار قريش ، وهذا عبدالله بن جحش يرد على قريش حين قالت : أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، فأجاب مناقضا : (10)**

**تعدون قتلا في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد**

**صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد**

**وكما تأثر الشعراء بالقرآن تأثروا بالحديث النبوي ، وهذا حسان بن ثابت يستعين بقول الرسول حينما خاطب قتلى بدر من المشركين مضمنا قول الرسول لهم : ( هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ) إذ يقول : (11)**

**ألم تجدوا كلامي كان حقا وأمر الله يأخذ بالقلوب**

**فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب**

**وفي الأغراض الشعرية بدأ الشعراء يسلكون مسلكا جديدا ينسجم مع معتقدهم الجديد ، وخلقهم الاسلامي ، فحين يتوجه الشاعر بالرثاء فأنه يتخلى عن التفجع والندب والنواح مستبدلا إياه بالصبر والثبات والإيمان بالقضاء والقدر ، وتعداد المناقب ، وهذا ما قاله حسان بن ثابت حين رثى الرسول : (12)**

**يدل على الرحمن من يقتدي به وينفذ من هول الخزايا ويرشد**

**عفو عن الزلات يقبل عذرهم حريص على أن يستقيموا ويهتدوا**

**وفي مدحه ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يميل الشعراء الى الاعتدال والصدق مبتعدين عن المبالغة والكذب والغلو ، وفي ذلك يقول العباس بن مرداس يمدح الرسول : (13)**

**أمينا على الفرقان أول شافع وآخر مبعوث يجيب الملائكا**

**ويخرج المجاهدون استجابة لأوامر الله لحروب الفتح الاسلامي ، ويعبرون عن ذلك بشعر يتضح فيه التطوع والانفياد لأوامر الله والأمتناع عن نواهيه ، يقول النابغة الجعدي محاورا ابنة عمه : (14)**

**ياابنة عمي كتاب الله أخرجني طوعا وهل أمنعن الله ما فعلا**

**ماكنت أعرج أو أعمى فيعذرني أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا**

**وهكذا يتبين لنا تأثر الشعر بالاسلام تأثرا ماديا من حيث المعاني والأساليب والألفاظ والمضامين .**

**\_ أثر الحديث النبوي في اللغة والأدب**

**الحديث هو كل ما روي عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير ، وهو بذلك ليس جميعه أقوالا للرسول ، بل منه مايسمى آثارا ، وهو ما رواه الرواة حكاية عن خلقه ،أو عمله أو شأن من شؤؤنه .**

**وأهمية الحديث ترجع الى أن القرآن يذكر أصول الدين الاسلامي وأحكامه مجملة دون تفصيل والرسول هو الذي يفصلها ويوضحها ، فالقرآن مثلا لم يذكر تفاصيل الصلاة والزكاة وهي من أهم أركان الاسلام بل اكتفى بقوله تعالى : ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) والحديث فصل ذلك فحدد أوقات الصلاة وعددها وكيفيتها كما فصل القواعد والاسس التي يجب اتباعها في جمع الزكاة وتوزيعها .**

**والحديث معظمه كلام الرسول الشفوي ، وعلى الرغم من أنه عليه الصلاة والسلام كان أميا لكنه كان أفصح العرب لسانا لقوله ( أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ) أي لأنني من قريش ،وقال : " بعثت بجوامع الكلم " ، وقال – عليه الصلاة والسلام – حينما سؤل عن فصاحته ، وأدبه : " أدبني ربي فأحسن تأديبي " (15) وأحاديث الرسول آية في البلاغة والفصاحة ومن الجدير بالذكر أن أحاديث الرسول لم تصل الينا كاملة بألفاظها إنما وصل البعض منها بمعناها ، ولعل هذا من أهم الاسباب التي دفعت علماء النحو الى عدم اعتماد الحديث في الاستشهاد النحوي ، وكمصدر لتدوين اللغة ومفرداتها وهذ بالتأكيد ليس طعنا بالحديث ولكن بسبب وصول الحديث بالمعنى لا باللفظ لذلك لم تصلح كمادة للشواهد النحوية واللغوية ، ومع كل هذا فان هذا لاينفي قيمتها وأهميتها مصدرا للتشريع والفقه الاسلامي ، فضلا عن قيمتها الجمالية والاسلوبية كونها كلام الرسول عليه الصلاة والسلام أفصح العرب وأكثرهم بيانا وبلاغة ، فلأحاديث الرسول قيمة اسلوبيه جمالية تعبيرية لغوية فهي اذن مصدر في إمداد اللغة العربية بالدلالات التعبيرية . ومن أحاديث الرسول التي جرت مجرى الامثال لقيمتها التعبيرية والجمالية : كل الصيد في جوف الفرا ، الآن حمي الوطيس ، إياكم وخضراء الدمن ، ياخيل الله اركبي ، ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى .... والخ . وحينما نخضع هذه الاحاديث وغيرها للميزان الجمال نجد ما للرسول من بلاغة وفصاحة ومن هنا يمكننا أن نبين ماللحديث النبوي من أهمية وتأثير في اللغة والأدب :**

1. **أمد اللغة العربية بطاقة كبيرة من الالفاظ والمعاني التي لم يسبق استعمالها ، ففيه فيض من الألفاظ الغنية الثرة والالفاظ المرتجلة ( اي التي اكتسبت دلالات جديدة لها في الاستعمال القراني والنبوي وهي ليست بجديدة ) كالصلاة والفرقان والكفر فهي موجودة في الجاهلية ولكن دلالاتها تغيرت في الاسلام**
2. **ساعد في انتشار اللغة العربية وحفظها من الضياع كما فعل القرآن الكريم**
3. **المساهمة في تشذيب اللغة وتهذيبها وتنقيتها ىمن الغريب والحوشي .**
4. **ساهم الحديث في نشأة علوم جديدة كلها أغنت اللغة العربية لأنها ألفت فيها كعلم جمع الحديث ، وتفسيره، وعلم الجرح والتعديل ، وعلم طبقات المحدثين**

**ودراسة السيرة النبوية ، وسيرة المحدثين .**

**أما أثر الحديث في الأدب العربي شعرا ونثرا فهي لا تختلف عن أثر القرآن الكريم ، إذ عمل الحديث على الارتقاء بلغة الشعراء والخطباء والكتاب وأساليبهم في التعبير والاقتداء بالجوانب البلاغية والبيانية للرسول الكريم في أحاديثه ، كما عملت الاحاديث على امدادهم بالمعاني والمضامين الجديدة في التعبير ، كما جعلت الاحاديث لغتهم واضحة سهلة رقيقة معبرة وخلصتها من الغريب والحوشي المتنافر .**

**موقف الاسلام من الشعر والشعراء: (16)**

**يتجلى موقف الاسلام من الشعر والشعراء من خلال معالجة المواقف التالية :**

1. **موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء**
2. **موقف الرسول الكريم من الشعر والشعراء**
3. **موقف الخلفاء الراشدين من الشعر والشعراء .**

**موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء .**

**لقد ورد ذكر لفظة ( شاعر ، شعراء ، شعر ) في القرآن الكريم في ستة مواضع هي : (17)**

* **قال تعالى في سورة الانبياء : ( بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه ، بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون )**
* **قال تعالى في سورة الصافات : ( ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون )**
* **قال تعالى في سورة الطور : ( أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون )**
* **قال تعالى في سورة الحاقة : ( وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون )**
* **قال تعالى في سورة الشعراء : ( والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون )**
* **قال تعالى في سورة يس : ( وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين )**
* **عرض وتحليل –**

**يمكننا أن نسجل الملاحظات التالية قبل الخوض في موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء .**

1. **إن هذه الآيات كلها مكية باشتثناء بعض آيات سورة الشعراء**
2. **في أربعة مواضع منها ورد ذكر ( شاعرأربع مرات والجمع ، شعراء مرة واحدة) وقد ورد لفظ (شعر) مرة واحدة .**
3. **في اربعة مواضع منها سبق لفظ الشاعر ( يقولون ، بل قالوا ، أم يقولون ، ما هو بقول ) أي هناك تقول وادعاء ، وافتراء من قبل كفار قريش على الرسول**
4. **في أكثر من موضع جاءت لفظة شاعر مقترنه بلفظ ( ساحر ، كاهن ، مجنون ، أضغاث الاحلام ، الغاوون )**

**ووفقا لهذه الملاحظات نتوصل الى ما يأتي :**

1. **كون الآيات كلها أو معظمها جاءت مكية هذا يعني انها جاءت في المرحلة الأولى من الدعوة الاسلامية أي المرحلة المكية ، أي حينما كان الرسول متواجدا مع كفار قريش في بداية دعوته لهم للاسلام ، ويلاحظ ان الاسلام كان ضعيفا في بداية الدعوة ، وتحديدا حينما كان الرسول في مكة قبل أن يهاجر الى المدينة ، إذ تعرض لأضطهاد قريش ورفضهم للدعوة الاسلامية ، بل وايذاؤهم له وأصحابه , معنى هذا ان الرسول كان في هذه المرحلة ضعيفا وبحاجة الى من ينصره ، ويرد عداء الكفار عنه ، فجاء الدفاع من الله جل وعلا من خلال القرآن الكريم ، فهذ المواضع كانت دفاعا عن الرسول لا أكثر ، وليست موقفا من الشعر باعتباره فنا أدبيا**
2. **كون ان لفظة شاعر غلبت على لفظة شعر يعني ان القرآن غير معني بالشعر الذي هو فن من الفنون الادبية ، وهو فن القول ، وهو موضوع أدبي ، إنما كان القرآن معنيا بالمنشئ أو القائل وهو (الشاعر) أو من يجيد فن القول ويتقنه ويحيد عن الحق ويغري الآخرين ويظللهم ، أنه الشاعر مثله مثل الساحر والكاهن ، ومثل هؤلاء يحق للقرآن أن يحاربهم ويتخذ موقفا منهم ، ويدافع عن الرسول مقابل إساءتهم له .**
3. **أما كون ألفاظ ( التقول ) قد سبقت الآيات التي ذكرناها فهذا يعني أن هناك من تقول على الرسول ، وادعى عليه واتهمه ومن جملة هذه الاتهامات كونه شاعرا وهذا مالا يريده الله لرسوله الكريم ، وكما نفى عنه كونه ساحرا وكاهنا ومجنونا كذلك كونه شاعرا لأنه جل وعلا أراد أن يثبت أن القرآن من عند الله وليس كلام محمد**
4. **أما اقتران الشاعر بالساحر والكاهن والمجنون فقد أراد الله أن ينزه الرسول عن كل هذه الصفات كالسحر والكهنوتية والشاعرية والجنون ، فكلها مما لا يليق بالرسول أن يتصف بها .**

**نخلص من ذلك أنه ليس في تدبر هذه الآيات ما يشير الى أن القرآن ناقش قضية الشعر بأعتبارها مضمونا أدبيا فنيا ، أو ما يشير انه وقف موقفا معاديا من الشعر والشعراء كما ادعى البعض ، ولكن موضوع الحوار كله يدور حول دفاع القرآن الكريم عن الرسول بعد الهجمة الشرسة من قبل المشركين عليه في مكة في بداية الدعوة الاسلامية حينما استضعفوه وحاولوا النيل منه وكانوا موضع جبروت وقوة آنذاك , فموقف القرآن إذن دفاع وليس موقفا من الشعر باعتباره فنا من فنون القول ولا موقفا مطلقا من جنس الشعراء كما يرى البعض ، وعليه فإن الاحتجاج بهذه الآيات على أنها موقف للقرآن من الشعر والشعراء ، وموقف سلبي معاد غير مقبول وخال من الصحة .**

**أما الآية الوحيدة التي ورد فيها ذكر الشعر ( وما علمناه الشعر وماينبغي له ... ) فنزلت لتضع حدا فاصلا بين الشعر بمعناه السيئ ، وبين النبوة التي أمر الرسول بتبليغها في الآيات التي ورد فيها ذكر ( شاعر ) حكاية عن كفار قريش الذين أصروا على محاججة الرسول ونكران رسالته ، وإن ماجاء به إنما هو شعر ، فجاءت الآية ردا على زعمهم أن محمدا شاعر ، واستدل القائلون بضعف الشعر في صدر الاسلام بهذه الآية على ماذهبوا اليه أن القرآن يحط من قدر الشعر، ويهون أمره ، وينفر المسلمين منه ، ويصرفهم عن إنشاده وسماعه وإنشائه . (18)**

**إذن ليس في تدبر هذه النصوص الكريمة ما يثبت أن القرآن وقف من الشعر والشعراء موقفا سلبيا معاديا ، لأننا عرفنا أن مدار الحوارهنا هو مفهوم الشعر عند العرب المشركين وموقفهم من القرآن ، وليس موقف القرآن من الشعر والشعراء كما يزعم البعض . ان ذكر الشعر والشعراء في القرآن الكريم جاء لدحض آراء المشركين ونفي الشاعرية عن القرآن والرسول . فالمعركة اذن لم تكن تدور حول الشعر ومن أجله ، ولم يكن الشعر موضوعها الرئيس ، وإنما كانت معركة حول القرآن وبسببه ، والقرآن هو الذي أعجز شعراء الكفار وأسكتهم ثم اقتدى به الشعر الذي ارتبط بالدعوة الاسلامية .**

**أما سبب محاولة القرآن نفي صفة الشاعرية عن الرسول الكريم فهي :**

1. **لإثبات أن القرآن كلام الله وليس كلام الرسول محمد ،وان نفي الشاعرية عنه تعني ابتعاده عن الخوض في الكلام والنظم ، وبالتالي فمانزل عليه انما هو كلام الله وليس كلام البشر من الشعراء ، لاسيما وان العرب تقر للشعراء بفصيح الكلام وبلاغته وبيانه .**
2. **للشعراء مسالك اخلاقية سيئة في الغالب ولا يليق بالرسول أن ينسب لمثل هذه الفئة**
3. **الشعر فيه موسيقى وطرب والرسول منزه عن ذلك وقد أثر عنه قوله: ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ( ما أنا من دد ولا دد مني ) (19) والدد هو الطرب**
4. **تعتقد العرب ان للشعراء أقران من الجن والشياطين يلهمونهم الشعر ومثل هذا لا يليق بالرسول الكريم ، وفي ذلك يقول ابو النجم العجلي مفتخرا بشاعريته : (20)**

**أنا وكل واحد من البشر**

**شيطانه أنثى وشيطاني ذكر**

**ولعل الموضع الوحيد الذي ورد فيه وصف الشعراء وتصنيفهم طبقا لموقفهم من الاسلام هي الآيات من سورة الشعراء في قوله تعالى : ( والشعراء يتبعهم الغاوون ........ الى قوله تعالى : إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات ......) فالآيات تصف فئة خاصة من الشعراء ، وتميز بين صنفين منهما هما : شعراء الحق ، وشعراء الباطل وبدأت الآية بذكر شعراء الباطل من الكفار ووصفهم باحتراف الكذب والغلو في الادعاء وتزييف القول ، وهم الذين يدعون انهم على اتصال بالجن والشياطين ، يتلقون منهم الالهام والايحاء ويستوحون منهم الأفكار والاراء ، كما وصفهم بأنهم في كل واد يهيمون ، أي يطلقون لأخيلتهم العنان ليخوضوا في كل الموضوعات من غير تمييز ، وقد يراد الخوض في المحرمات كالتغزل الفاحش ، اذن فقد حدد القرآن هذه الفئة الضالة من الشعراء وكان من الطبيعي أن يستثني منهم شعراء الحق الذين أحسنوا وأجادوا في دفاعهم عن الرسول ونشر القيم الاسلامية ورفع راية الحق من خلال الشعر هؤلاء كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة . فهم مستثنون من الفئة الأولى ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...... ) فقد أمنوا بشعرهم وألسنتهم وقلوبهم وعملوا الخير بنشر الفضيلة ومحاربة الباطل والدفاع عن الحق ، وذكروا الله في ماقالوا من شعر ، وانتصروا للاسلام .**

**وهكذا فإننا نرفض مايقال من أن القرآن عمل على اعاقة الشعر والازراء به ، فهو لم يحارب الشعر كله ، ولم يذم الشعراء جملة ، ولم يهون من قيمة الشعر ، لكنه حارب نوعا منه ، وهاجم وذم فريقا من الشعراء**

**موقف الرسول والصحابة من الشعر والشعراء**

1. **موقف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم ) من الشعر والشعراء :**

**لم يكن الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم ) شاعرا على الرغم من أنه أفصح العرب ، وما ينبغي له أن يقول الشعر كما سبق وذكرنا تنزيه الله له عن ذلك ، والمتواتر عنه عليه الصلاة السلام أن له مواقف من الشعر ، فلقد انكر بعضه واستنكره ، ونهى عن رواية بعضه واهدر دم بعض الشعراء ، ومن جانب آخر أثنى على بعض الشعر ، واحب سماع بعضه، وأثاب بعض الشعراء وشجعهم ، ودعا لهم دعوات حسنة (21) وللرسول جملة من الأحاديث تمثل هذه المواقف المختلفة والناظر فيها بلا تعمق ، والاخذ بظاهرها أحد ثلاثة : إما أن يأخذ بالأحاديث التي تمثل استنكاره للشعر فيتهم الرسول بمعاداة الشعر ، وإما أن يأخذ بالأحاديث التي تمثل جانب استحسانه ، وتشجيعه للشعراء فيأخذها سندا وحجة على رأيه بوقوف الاسلام الى جانب الشعر دون تحفظ ، وإما أن يجمع بين هذين الاتجاهين ويوفق بين آراء الرسول وأقواله جميعا ، ويحكم العقل ليقف على دواعي الاستنكار ، وبواعث الاستحسان ، والقول الفصل في فهم موقفه(صلى الله عليه وسلم ) من الشعر هذه الأحاديث والأقوال التي تعتبر مفتاح فهم المواقف :**

**- ( إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق فهو منه، وما لم يوافقه فلا خير فيه )(22)**

**- ( إنما الشعر كلام ومن الكلام خبيث وطيب ) (23)**

**- ( لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه ، خير له من أن يمتلئ شعرا ) وفي رواية أخرى شعرا هجيت به . (24)**

**- ( الشعر كلام العرب، جزل، تتكلم به في بواديها ، وتسل به الضغائن من بينها )(25)**

**- ( لاتدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين ) (26)**

**- ( إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة ) (27)**

**ونسب اليه ( صلى الله عليه وسلم ) أقوال يظهر عليها الوضع كقوله : ( الشعر قرآن الشيطان ) وتحفظ كتب السير والتراجم ، والتاريخ أقوالا ، وأراء كثيرة تنسب للرسول نتبين منها مواقف في جماعة من الشعراء الجاهليين والاسلاميين منها :**

**يقول في امرئ القيس : ( ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها ، منسي في الآخرة خامل فيها ، يأتي يوم القيامة ومعه لواء الشعراء الى النار ) (28)**

**وقصته مع كعب بن زهير مشهورة فقد أهدر دمه لأنه قال شعرا يذم فيه الرسول وأصحابه ، ويسفه الأسلام ، فلما أتاه تائبا عفا عنه(29) . وقد بلغ به اعجابه بالشاعر زيد الخيل أسماه زيد الخير ، وقال فيه : ( ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الاسلام إلا رأيته دون الصفة ليسك ) وقال في عنترة : ( ما وصف لي أعرابي فأحببت أن أراه إلا عنترة ) (30) . وحين سمع قول لبيد : (31)**

**ألا كل شيئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل**

**قال : ( أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد .... ) ولما سمع بيت طرفة :**

**ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار مالم تزود**

**قال : ( هذا من كلام النبوة ) (32)**

**ومن جانب آخر تؤكد معاملته لبعض الشعراء عن حب عميق للشعر وإكبار للشعراء فقد أنشد النابغة شعرا أمام الرسول ، فيه يقول : ( 33)**

**بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا**

**فقال له الرسول : ال أين يا أبا ليلى ؟ فقال النابغة : الى الجنة يارسول الله فرد عليه قائلا : لا فض الله فاك . ويقال أن النابغة بلغ من العمر عتيا ولم يسقط له سن ،**

**ومن الشائع أنه قرب بعض الشعراء ، وأمرهم بالقول ، وشجعهم عليه دفاعا عن الاسلام ، وصدهم لهجوم المشركين على المسلمين بالقول ، حتى صار بعضهم كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة حماة الدين ، ولسان الدعوة فكان الرسول يدعو لهم ويشجعهم ، إذ يقول لحسان ( أذهب وروح القدس معك ، اذهب وجبريل معك ) ويصف وقع شعره على المشركين كوفع النبل ، وأرسله الى الخليفة أبي بكر الصديق ليعلمه أنساب قريش ، لأن حسان من أهل المدينة غير عارف بأنساب قريش (34) ، ولما سمع الرسول شعر أمية بن أبي الصلت الذي يقول فيه (35) :**

**الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا**

**قال : إن كاد أمية ليسلم ، وقال فيه أيضا : آمن شعره ، وكفر قلبه . وكان أمية بن أبي الصلت قد أدرك الاسلام ، ومثل هذا الرأي الطيب كان له مع الخنساء ، والأعشى ، وزيد بن عمر الذي قال فيه : أنه ليبعث يوم القيامة أمة وحده**

**ومن خلال استعراض هذه الأقوال يمكن استخلاص النتائج التالية :**

1. **إن موقف الرسول مستمد من مبادئ القرآن عامة ، ومن الآيات التي سبق ذكرها على وجه الخصوص**
2. **إن موقف الرسول يتراوح بين الشدة واللين ، فهو تارة موقف متشدد تجاه الشعر والشعراء ، ينفر منه ، وينهى عنه، وتارة موقف ايجابي باعتبار الشعر وسيلة تهذيب ودعوة للفضائل ،**
3. **ان موقف الرسول هذا جاء منسجما مع قواعد الدين ، متوافقا مع منطوق ومدلول آيات القرآن ، وهو مفهوم واضح يصدر عن مبادئ ثابته ، ويدافع عن غايات سامية .**
4. **ان هذا الموقف لا يختص بشعر كفار قريش الذي عارض الرسول ، ورفض التصديق بالدعوة ، ولكنه موقف عام من الشعر ، لأن الرسول قبل من الشعر الجاهلي ما وافق روح الاسلام ، وانسجم مع قيم ومبادئ القرآن ، ومن الشعر الاسلامي ماتمثلت فيه حقيقة الدين والتزم بخط الدعوةالجديدة ، ومن مؤيدات هذا الاستنتاج ان الوحي نفسه لم يحرم الشعر ، ولم يمنع روايته وانشاده**
5. **ان مفهوم الشعر من وجهة نظر الرسول هو كلام مؤلف أي مصنوع ومنظم ، وهو كلام جزل من كلام العرب وقبوله أو رفضه يتوقف على مقدار مافيه من قيم الفضيلة والحق ، وعلى مايدعو اليه من شيم الإخاء والمساواة والعدل ، فالمعيار عنده واضح ، وهو مدى مطابقة الشعر لمبادئ القرآن ، وقيم الاسلام ، ومدى التزامه بمقتضيات الدعوة الجديدة ، ومساهمته في معركة الوجود ضد الكفر والشرك .**

* **موقف الخلفاء الراشدين من الشعر والشعراء – (36)**

**تقديم :**

**لم يكن موقف الخلفاء وبقية الصحابة من الشعر ليختلف عن موقف القرآن ، والرسول فهما المصدر الاول الذي استمد منه الخلفاء( رضوان الله عليهم ) حقيقة موقفهم من الشعر ، فكلهم كانوا يحبون سماع الشعر ، ويحفظونه ويتذوقونه، ويروونه ، ومنهم من عرف بنظم الشعر والتمثل به ونقده .**

* **أبو بكر الصديق ( رضي الله عنه )**

**فأبو بكر الصديق ( رضي الله عنه ) كانت صلته بالشعر كبيرة حفظا وتمثلا ونظما ، فقد دلت الروايات على أن أبا بكر كان يكثر من حفظ الشعر ، كثير التمثيل بأشعار الجاهلية ، يروي منها في مواقفه وخطبه ، حتى قالوا عنه لايكاد يعرض له أمر إلا وأنشد فيه بيت شعر ، (39) وكان النبي يقول أول البيت فيكمله أبو بكر (37) أما عن نظمه للشعر فقد ورد عن بعض الرواة قصائد ومقطوعات له إلا أن رواة السير كأبن هشام لا يثبتون ذلك عنه ، ولكن من المؤكد أنه قال الشعر في الجاهلية (38) ولكنه توقف عن ذلك في الاسلام ليس لشيئ وإنما ليتفرغ الى أمر عظيم وخطير ألا وهو الاسلام ، ومسؤولياته الدينية والسياسية ، ومع هذا فبعض الرواة يثبت للصديق شعرا قاله في الرسول منه مرثيته ذات المطلع : (39)**

**ياعين فابكي ولا تسأمي وحق البكاء على السيد**

**وقد أثبت صاحب الروض الآنف قصيدة أخرى للصديق في قصة الغار حينما كان مع الرسول وهناك من ينكرها له (40)**

**وكان الصديق ناقدا للشعر فقد وردت عنه بعض الملاحظات النقدية التي تنسجم مع ما كان عليه من فصاحة ودراية بالشعر وأفانينه، وكانت آراؤه النقدية تتميز بالاجمال والعموم مثله مثل النفاد الآخرين في عصره .**

**عمربن الخطاب ( رضي الله عنه )**

**للخليفة عمر الفاروق آراء ونقد حول الشعر والشعراء ، كما أنه عرف قيمة الشعر وأهميته ، فقد روى الجاحظ في بيانه : ( كتب عمر بن الخطاب الى ساكني الأمصار : أما بعد فعلموا أولادكم العوم والفروسية ، ورووهم ما سار من المثل ، وحسن من الشعر ) ( 41) وعرف عنه أنه كان يوجه الفن الشعري وجهة اسلامية لخدمة الدين ، وتربية الخلق ، ودليل تقدير عمر للشعر، ومعرفة تأثيره في النفوس قوله : ( أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجته ، يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم ) (42) كما عرف عنه ( رضي الله عنه ) كان مشهورا بنقد الشعر ، وأحكامه في الشعر تعد من القواعد الموضوعية الأولى في تاريخ النقد الأدبي فقد أعجب بشعر زهير خاصة لما ينطوي عليه من حكم ، ودعوة للخلق الرفيع، والمثل الانسانية السامية ، فحين سمع بيت زهير بن أبي سلمى (43) :**

**وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء**

**قال : ( ومن علمه الحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها ) وأعجب كذلك ببيت النابغة الذبياني : (44)**

**فلست بمستبق أخا لك لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب**

**وقال عن صاحبه أنه أشعر الشعراء ، ولعمر نظرات نقدية وردت في كتب النقد القديمة فمما قاله في امرئ الفيس : ( أمرؤ القيس سابقهم ، وقد خسف لهم عين الشعر ) (45) وفي النابغة : ( هو أشعر العرب )( 46) وعن زهير : ( هو أشعر الشعراء لأنه كان لا يعاظل في الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه ) (47) ، ومقابل هذا فقد وقف ضد الشعراء الذين ساروا في أغراضهم الشعرية في دروب الهوى والعبث واللهو والمجون وسد عليهم منافذ الفساد ، وأخذهم بالشدة ، فحبس وعزل من استحق منهم تلك العقوبات ، وهكذا اتبع طريقة التضييق على الشعراء الغزليين المتهتكين ، والهجائين المفحشين ، وهذا ما اتبعه مع الشعراء الخارجين عن تعاليم الاسلام كالحطيئة والنجاشي وسحيم وابي محجن الثقفي ( 48)**

**فقد عاقب الحطيئة بالحبس قائلا : ( ياخبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين ) فلما استعطغه قائلا : (49)**

**ماذا أقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لاماء ولا شجر**

**القيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله ياعمر**

**أطلق سراحه ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثمائة ألف درهم على أن لا يعود الى ذلك ، أما أبو محجن الثقفي فقد جلده ونفاه خارج المدينة وقد كان مولعا بالخمر يشربها ويكثر من وصفها**

**الأمام علي ( عليه السلام )**

**أما الامام علي ( عليه السلام ) فقد اتفقت له كل الصفات الحميدة ، فنكاد لانجد فضيلة في علم أو أدب تنسب لأحد إلا ونسبت إليه ، ولقد شهد له بسعة العلم ، والبلاغة والبيان ، أما الشعر فقد كان كثير الحفظ له ، وكثيرا ماتمثل به في حروبه ، فضلا عن أنه كان يثيب الشعراء على الشعر الجيد الحسن وينفعل له .**

**والمعروف عنه ( عليه السلام ) أنه ذو بصر ثاقب ، ومعرفة تامة بعلوم زمانه وأجلها القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وعلوم العربية شعرها وخطابتها ، وكان ينشد الشعر ويتمثل به ، ويحفظه ويرويه ، وينظمه وينقده ، وكان يتعقب الهجائين والغزلين الخارجين على تقاليد العقيدة وآدابها ( 50) فقد عرف عنه ( عليه السلام ) صلابته في إقامة حدود الله ، وعدم تفريطه في حد من حدوده. وقصته مع الشاعر النجاشي مما يشير الى ذلك ، فمما أورده صاحب الشعر والشعراء أنه عاقب النجاشي بضربه ثمانين سوطا حين سكر في رمضان ، وزاده عشرين سوطا ، فقال النجاشي : ماهذه الزيادة يا أبا الحسن ؟ فقال : هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان ( 51)**

**أما عن نظمه للشعر فقد اختلفت المصادر في ذلك ، فابن رشيق يروي شعرا للإمام علي في صفين ثم يقول : ( وهؤلاء الخلفاء الأربعة ما منهمإ إلا من قال الشعر) (52) (والحصري القيرواني يذكر له شعرا في بكاء فاطمة ( عليها السلام ) كما يثبت له المبرد ارجوزة ارتجزها في صفين (53) . وللإمام رأي في نقد الشعر ، فالشعر في نظره ( ميزان القول ) ، والمفاضلة بين شاعر وشاعر لاتجوز الا بين المتعاصرين ، فقد أورد صاحب العمدة قولا نسبه للإمام علي ( عليه السلام ) (: ( لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ، ونصبت لهم راية واحدة فجروا معا ، علمنا من السابق منهم ، وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبة أو رهبة .... ) (54) وهكذا يبدو أن نقد الامام يجري على وجه من الدقة ، فلا مفاضلة إلا بين متعاصرين ينتمون الى عصر واحد ، وكأنه يشترط المعاصرة لتحقيق العدالة بين المتسابقين ، وإن تعذر ذلك فالأفضل فيهم من لم يقل لرغبة أو رهبة ، وكأنه يحفز في الشعراء روح التلقائية والطبع ، ويفضل ذلك على التصنع في نظم الشعر .**

**خلاصة موقف الاسلام من الشعر والشعراء –**

**ان نظرة الاسلام الى الشعر كما تمثلها آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول ، وسلوك الخلفاء إزاء الشعراء ، جعلت الباحثين المعاصرين يختلفون في فهمها ، ويستنتجون منها آراء ونظريات متعددة ، بعضها يذهب الى أن القرآن وقف موقفا ايجابيا من الشعر والشعراء وهذا هو مذهب فريق من الدارسين والباحثين ، منهم يحيى الجبوري ( الاسلام والشعر ) وفتوح أحمد ( الشعر الأموي دراسة في التقاليد والأصالة الأدبية ) وبنت الشاطئ ، وشوقي ضيف ( العصر الاسلامي ) (55)**

**فهذا الفريق يرى أن الاسلام شجع الشعر ووجهه لما فيه صالح الاسلام ، وان الاسلام لم يقف ضد الشعراء بل أخذ في أيديهم ، وان الشعر ومنذ بزوغ الاسلام كان عونا وسندا للأسلام ، جسد أحداثه الكبرى ووثق حروبه ، ووقف ضد أعدائه ، وقد مارس الشعر دوره الفعال في التعبئة الوجدانية ، ويخوض معركته حين كان الالتحام بين المسلمين والمشركين في المعارك الاولى وبعد ذلك في أثناء الفتوحات .**

**أما الفريق الاخر فذهب عكس الفريق الأول ، إذ ذهب الى ان الاسلام حارب الشعر ووقف ضد الشعراء ، وجاء ذمهم في آيات القرآن الكريم تأكيدا لذلك ، كما أن الرسول أهدر دماء بعض الشعراء ، وأقام عليهم الحد ، وكان لهذا الهجوم نتائج سيئة جعلت الناس ينفرون من الشعر ويهجرونه ، ولهذا ضعف الشعر في هذه المرحلة ، ومن الذين ذهبوا الى ذلك أحمد حسن الزيات ( تاريخ الأدب العربي ) وزكي مبارك ((الموازنة بين الشعراء ) (56) وهكذا كان الاسلام يتخذ من الشعر مواقف تتلاءم وطبيعة كل مرحلة من مراحل الدعوة وظروفها ، فهو يوجه الشعر ويشجعه حين أتيح للمسلمين أن يتخذوا الشعر سلاحا من أسلحة الصراع بين الدعوة وأعدائها في عهد النبوة ، ثم يزور ويتخلى عن هذا الشعر نفسه بعد فتح مكة حين رأى فيه خطرا على وحدة المسلمين ، ومن ثم ( لا يصح أن يقال : إن الدين قد غض من الشعر ونهى عنه ، كما لا يصح أن يقال : إنه شجع الشعر دون توجيه وتهذيب .**

**ومع اننا أثبتنا ان الاسلام لم يحارب الشعر ولم يقف حائلا دون تقدمه ولم يحد من ابداع الشعراء ولكن مثل هذه الآراء كان منطلقا لصياغة نظرية تقول بفتور الشعر ووهنه في تلك الفترة .**

* **نظرية ضعف الشعر في عصر صدر الاسلام –**
* **تقديم :**

**تعتبر هذه النظرية من النتائج التي ترتبت عن الموقف المعادي الذي يرى أصحابه بأن الاسلام حارب الشعر ، وانه وقف موقفا سلبيا منه ، كما أن الرسول وقف في وجه الشعراء ، وبالتالي فأن مثل هذه المواقف أضعفت الشعر . وقد استند أصحاب هذه النظرية ( نظرية ضعف الشعر ) (57) في اثبات صحتها على أدلة ونصوص منها :-**

**- آراء النقاد القدامى –**

**إن الذين ذهبوا بأن الشعر ضعف في صدر الاسلام ، وانخفض مستواه عن الشعر القديم ( الجاهلي ) إنما يصدرون عن أقوال النقاد القدامى ، ورواة الشعر ، ومن أهم تلك الأقوال ماينسب للأصمعي ، وابن سلام وابن خلدون .**

**-الأصمعي : الذي كان له رأي في شعر حسان بن ثابت والذي أورده المرزباني في كتابه ( الموشح ) إذ يقول : ( طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي وحمزة وجعفر وغيرهم لان شعره ، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار ، والرحل ، والهجاء ، والمديح ، والتشبيب بالنساء ، وصفة الخمر والخيل ، والحروب والأفتخار ، فإذا أدخلته باب الخير لان ) (58) .**

**- ابن سلام : اعتمدوا كذلك على رأي ابن سلام في مقولته التي أوردها في كتابه ( طبقات فحول الشعراء ) إذ يقول : ( فجاء الاسلام ، فتشاغلت عنه العرب ( أي عن الشعر ) وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك ، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير ) (59)**

**- ابن خلدون : وقد ورد رأيه في كتابه (المقدمة ) يقول مقارنا بين ازدهار الشعر في المرحلة الجاهلية وبين ما آل اليه أمره في صدر الاسلام ( ...... ثم انصرف العرب عن ذلك أول الأسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك ، وأونس الرشد من الملة ، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي ، وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه ) (60)**

**تحليل ومناقشة الأقوال ومحاولة الرد عليها وتفنيدها :**

**لعل أول الآراء وهو رأي الأصمعي هو أكثرها وضوحا وصراحة فيما يخص ضعف الشعر الاسلامي لذلك اتخذه الذين أرادوا الطعن في شعر صدر الاسلام واتهامه بالضعف حجة ودليلا الى ما ذهبوا اليه . وعلينا قبل المضي في مناقشة رأي الأصمعي أن ندرك ذهنية الأصمعي في النقد فهو وبعض معاصريه من النقاد القدامى لا يثقون بالشعر الاسلامي ، وان بصرهم في الشعر منصب على حاجتهم الى الشاهد الشعري شأن علماء اللغة والنحو (61) ، فالأصمعي من النقاد المعجبين بالقديم ، أما المحدث أو الاسلامي فقد احتقروه وقللوا من قيمته مهما كانت جودته لمجرد أنه لا ينتمي الى العصر الجاهلي ، وأعجاب الأصمعي بالقديم واضح من خلال تفضيله شعر حسان الجاهلي على شعره الاسلامي ، فقوة الشعر الجاهلي متمثلة في وعورة الأسلوب وغرابة اللفظ ، والشعر الاسلامي لين لتأثره بأسلوب القرآن ، والشعر القوي عنده ماكان أسلوبه خشنا ولغته غريبة صعبة ، وعباراته حوشية ، والشعر الاسلامي تخلى عن كل ذلك .**

**والاصمعي حين يفسر سبب هبوط شعر حسان يرى لأنه دخل في باب الخير ، ويعلل قوة الشعر بانتهاج طريق الفحول ، مع صفات الديار والرحل والخمر .... وهذا المعيار قديم سببه الولع بكل ماهو قديم ، ورفض كل جديد لا لشيئ إلا لانه جديد ، وهذا يعني أن كل جديد مرفوض لدى الأصمعي ومن تبعه الى يوم الدين فما وافق الخير من الشعر فهو ضعيف ، وما وافق الشر فهو قوي لأن الشعر في نظره يقوى في الشر كما جاء في مقولته : ( الشعر نكد بابه الشر ) (62) وهذا الكلام بالتأكيد غير منطقي ولا مقبول ومعناه ان كل اغراض الشر قوية وكل اغراض الخير ضعيفة ، وهذا لم نلمسه ونحن نقرأ النتاج الشعري في التراث العربي القديم .**

**ثم ان الاصمعي اتخذ من غرض الرثاء عند حسان مقياسا للحكم على ضعف الشعر الاسلامي ، والمعروف ان غرض الرثاء ينبثق من عاطفة جياشة ن وهو من أرق الموضوعات الشعرية وأكثرها رهافة ورقة ، والمعروف كذلك ان الرثاء من بين موضوعات الشعر التي لا تقال لرغبة ولا رهبة (63) ، والنقاد ومنهم الاصمعي يرون أن الشعر صناعة لا يجيد صاحبها إلا لرغبة أو رهبة . اذن لا رغبة ولا رهبة والأجدر بالاصمعي ان لا يختار غرض الرثاء كمقياس لأنه لا يصلح للقياس عليه ، كذلك فان الاصمعي نسي ان حسان وقع تحت تاثير الاسلام فرقت ألفاظه وتخلى عن الالفاظ الطنانه والرنانه في مراثيه وكل أغراضه وترك أسلوب التفجع والتباكي والندب في مراثيه للرسول امتثالا لتعاليم الاسلام ، وربما لو اختار الأصمعي غرض الهجاء عند حسان لكان حكمه مختلفا لأن حسان سلك في الهجاء اسلوبا جاهليا، ولكن سوء الظن بالشعر الاسلامي وشعرائه جعله يبحث عن الحجج للتقليل من شأنه ، وبعد فإذا كان الاصمعي بعد كل هذا يصف هذه الروح التي تبتعد عن الكذب والمبالغة وتجميل وجه الباطل بالسهولة والضعف واللين فتلك روح الاسلام التى ارادها الله للمسلمين ولعل الإجابة تصبح أكثر اقناعا وقبولا حينما ترد على لسان حسان حينما سئل عن لين شعره ، فرد حسان بأن الاسلام يحجز عن الكذب ، والشعر يزينه الكذب (64) وهناك رواية وردت عن الأصمعي بخصوص حسان وشعره يعترف فيها بأن أشعار حسان اللينة إنما هي محمولة عليه ، حيث قال:( تنسب اليه أشعار لا تصح عنه ) (65)**

**وينسب الى حسان بن ثابت في قول له أنه علل سبب برودة عاطفته ، وسهولة رثائه لاسيما في رثائه للنبي ، بأن نفسه تبلدت ، ولهول الصدمة بردت في مشاعره كل حرارة ، فغلب الصبر على الجزع ، والثبات على التفجع ..... (66)**

**أما قول ابن سلام ( فجاء الاسلام ........ ) فهو واضح وعلى وضوحه يتناول فكرتين : فهو أولا يعلل لأنشغال العرب عن الشعر بمقتضيات الجهاد ، ونشر الدعوة وأعباء الفتوح ويعمم هذا الانشغال على الشعر وروايته أي على نظم الشعر من ناحية وروايته من ناحية أخرى . وثانيا يتخذ من هذا الانشغال تفسيرا لقلة ما وصلنا من الشعر العربي القديم ، فقد كان هذا الشعر يعتمد في نقله على الرواية الشفوية ، وقد هلك في الغزوات والفتوحات من رواته وحفظته كثيرون ومن ثم ضاع معظمه ولم يبق منه إلا القليل .**

**إذن نص ابن سلام لا يشير لا من بعيد ولا من قريب الى مسؤولية الاسلام عن ضعف الشعر وقلته ، وإنما يقتصر على تقرير مجموعة حقائق تاريخية هي انشغال العرب في العصرين النبوي والراشدي عن الشعر وروايته بالجهاد والفتوح وعدم تمكنهم من التدوين . ومعنى ذلك أنه أي رأي ابن سلام لا يصلح حجة للقول بأن الشعر ضعف في صدر الاسلام وأن الاسلام سببا في ضعفه وكما لم تصلح حجتهم الاولى وهي مقولة الأصمعي .**

**أما مقولة ابن خلدون فهي الاخرى تتشابه كثيرا مع مقولة ابن سلام فقد أضاف ابن خلدون رأيا جديدا يعلل به حالة الشعر في عصر صدر الاسلام من حيث قلته وضياعه وهو انبهار المسلمين بالبلاغة القرآنية التي أدهشتهم فصمتوا عن النظم والنثر وشعروا بأنهم سيقصرون عن اللحاق باسلوب القرآن فالأحسن الصمت ، كما أنه أشار الى ما شغلهم من أمر الدين اي القرآن وتدبره وتفسيره والجوانب الفقهية فيه أما النبوة فالمراد الجهاد مع الرسول في غزواته فضلا عن السنة النبوية والاحاديث التي كانت شغلهم الشاغل ، أما الوحي فهو القرآن وتدبر سوره . وفي كل هذا لم نجد في كلام ابن خلدون مايشير الى ضعف الشعر وما يشير الى ان الاسلام سببا في ذلك**

**اذن ومع بطلان تلك الحجج لا يمكننا ان نقول ان الاسلام كان سببا في لين الشعر وضعفه ، ولابد لنا أن ندرك ان الشعر في هذه المرحلة تحول عما كان عليه في المرحلة الجاهلية من ناحية الكم والكيف أي أن المستوى الفني لشعر صدر الاسلام هبط عما كان عليه في الجاهلية وذلك لأن الشاعر الاسلامي أصبح ضمن اطار التعاليم الاسلامية محكوما بها ولابد له ان يقول ما ينهض بتلك المرحلة ويجسد افكارها ويعكس نشاطها حتى يكون مجاهدا بلسانه عارفا بواجبه تجاه دينه وربه ، لابد له ان يلتزم الصدق ويتجنب الكذب ويجاري الحق لا يبالغ ولا يفتري ، يحتشم في قوله كما احتشم في خلقه. اذن هذا النموذج الشعري الذي افرزته مرحلة صدر الاسلام هو النموذج الذي يناسب المرحلة ويصورها تصويرا حقيقيا ، مع هذا يجب ان نعترف بأن الشعر الذي أفرزته هذه المرحلة لم يكن بمستوى الاحداث والمتغيرات فيها ، فهي مرحلة خطيرة ومهمه شهدت انقلابا حقيقيا وجذريا لجوانب الحياة كافة دينية وفكرية وسياسية واجتماعية كما سلف وأشرنا وذلك لاعتبارات واسباب سوف نشير اليها لاحقا .**

**وهناك مسألة مهمة يجب الاشارة اليها ونحن نخوض في قضية ضعف الشعر في مرحلة صدر الاسلام وهي ما وقع فيه من حكموا على الشعر الاسلامي باللين والضعف والفتور وهي أنهم حينما أصدروا حكمهم هذا انما كان حكمهم نتيجة انهم قارنوا بين شعر صدر الاسلام وشعر الحقبة التي سبقته وهو الشعر الجاهلي ، والحقيقة أن مبدأ المقارنة هنا غير جائز ولا منطقي ، إذ من غير المستساغ مقارنة النتاج الشعري في مرحلتين تاريخيتين تختلفان اختلافا جوهريا من حيث الطبيعة والخصائص ، وحتى من خلال المفهوم الشعري ، لأن الشعر اتخذ مفهوما جديدا في ظل الاسلام ، وخضع لتوجيه جديد أثر في مساره وتطوره ، بل ان المقارنة بين شعراء مرحلة واحدة لايستقيم من وجهة نظر بعض الدارسين كيف اذن نقارن بين عصرين متباينين في كل شيئ ، لابد اذن ان يكون الشعر الجاهلي متفوقا من الجوانب الفنية على الشعر الاسلامي وفق مقاييس النقاد في الجودة كطول النفس الشعري وغرابة اللغة وصعوبتها وقوتها، وكثرة الصور الفنية والبلاغية ، فضلا عن الالتزام بالبناء الفني للقصيدة ، وتنوع الموضوعات وجرأة الشاعر في كل ذلك ، ولكن إن عرفنا أن الشاعر الاسلامي تخلى عن كل ذلك ليبلغ الهدف الذي اراده الاسلام منه كشاعر فكان مقيدا في موضوعاته وصوره ، صادقا فيما يقول آنيا مباشرا واقعيا في ما ينظم من شعر .**

**يمكننا أن نخلص من هذا العرض الى أن نظرية ضعف الشعر في عصر صدر الاسلام من وجهة نظر القائلين بها تقوم على فكرتين أساسيتين هما :**

1. **موقف الاسلام من الشعر والشعراء . وذكرنا سابقا بأن من قال بضعف الشعر إنما أراد ان يجعل له مبررا الى ذلك فكان مبرره وحجته أن الاسلام وقف موقفا معاديا من الشعر ومن الشعراء ، فهاجم الشعراء وصدهم عن قول الشعر وسفه أقوالهم ، واتخذوا من بعض االآيات في القرآن والتي ورد ذكر الشعراء والشعر فيها حجة على مقولتهم تلك ، ومن جانبنا حاولنا تفنيد ذلك حينما تحدثنا عن موقف القرآن والرسول والاسلام من الشعر والشعراء**
2. **الركود النسبي الذي عرفه الشعر في هذه الفترة بالقياس الى ازدهاره في المرحلة السابقة ، فالشعر كان مزدهرا بما اتيح للشاعر من حرية التعبير والتفكير فاستطاع الشعر ان يطرق جميع الاغراض ، ويفتح جميع الأبواب ، ويتغنى بمختلف مظاهر الجمال والطبيعة ، فلما جاء الاسلام خضع الشاعر لعدة قيود ، وأصبح ملزما بالسير في ركاب الدعوة الجديدة ، فإن حاولت فئة منهم الخروج عن ذلك تعرضت للأذى والعقاب . ويلاحظ ان هذه الفكرة هي الدعامة الاساسية التي قامت عليها نظرية ضعف الشعر الاسلامي وهو مبدأ المقارنة بين شعر مرحلتين مختلفتين وقد اشرنا الى ذلك قبل قليل ورفضنا الاخذ به**

**وأخيرا يجب ان لا نربط بين انخفاض المستوى الفني للشعر الاسلامي وبين موقف الاسلام من الشعر والشعراء فنقول كما قالوا ان الشعر هبط مستواه الفني لان الاسلام وقف موقفا معاديا من الشعر والشعر هذا غير صحيح ، نعم المستوى الفني لشعر صدر الاسلام لايضاهي مستواه في العصر الجاهلي ، وحتى هذا لا يعد عيبا وخللا في الشعر الاسلامي بل ان هذا النتاج جاء منسجما مع ما اراده الاسلام ، ولعل من اسباب انخفاض المستوى الفني لشعر صدر الاسلام هي : (67)**

* **ان المرحلة كانت مرحلة انتقال بين عهدين ، ومراحل الانتقال عادة تكون رجراجة متحركة غير مستقرة بطبيعتها ، فهي مرحلة هدم القديم وتأصيل الجديد ، وهي تقترن بالعمل أكثر مما تقترن بالقول**
* **نقل مركز الثقل الى الجماعة المسلمة في عمومها وشمولها بدلا من القبيلة في ذاتيتها وخصوصها ، ومعنى ذلك أن رياح القول قد ركدت بركود أحد محاورها الاساسية وهي العصبية القبلية وما يقترن بها من صراع يجسده غرض الهجاء والفخر والحماسة والمديح وكل هذه الاغراض تنشط في ظل الصراعات بأنواعها**
* **الجهاد والحرب شغلت العرب عن قول الشعر، كما تسببت في ضياع كم هائل منه ذلك لان الشعر يحفظ في الذاكرة ولا يدون فحينما قضي الكثير في الحرب ضاع معهم شعر كثير وابو عمرو بن العلاء يقول : ( ماجاءكم مما قالته العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير )**
* **اقتران لفظة شاعر في القرآن الكريم بالساحر والكاهن والمجنون ، ونفي صفة الشاعرية عن الرسول قد يكون سببا عن ابتعاد بعض الشعراء عن الخوض في مجال الشعر ظنا منهم أن جنس الشعر مكروه غير مستحب**
* **نهي الرسول عن رواية بعض الشعر المسيئ كشعر أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر ، واقامة الحد على بعض منهم واهدار دم البعض كالشاعر كعب بن زهير والشاعر اليهودي كعب بن الأشرف**
* **انبهار ودهشة المسلمين من اسلوب القرآن الكريم ونظمه جعلهم يصمتون عن قول الشعر مهابة من اسلوبه المعجز الذي يأخذ بالعقول والقلوب ، وهذا ما أشار اليه ابن خلدون في كتابه المقدمة**
* **الانشغال بأمور الدين والنبوة والوحي وهذا ايضا اشار اليه ابن خلدون ، ويقصد بذلك التفكر في آيات القرآن والاستنباط منها وتدبرها والاهتمام بالحديث النبوي والانشغال بالفرائض والعبادات والشؤون الدينية والاجتماعية التي استجدت في المجتمع**

**الفصل الثاني**

* **واقع الشعر في عصر الرسول والخلفاء الراشدين**

**تقديم :**

**يعد الشعر في عصر الرسول وثائق تأريخية للعصر تؤرخ للأحداث والمعارك والايام لذلك حفلت كتب التأريخ بهذا الشعر بل أن مصدر شعر صدر الاسلام كان كتب التأريخ، كتاريخ الطبري وابن الاثير واليعقوبي وابن هشام وغيرهم (1) ، ويبدو أن اهتمام المؤرخين وجماع الأخبار بشعر صدر الاسلام ، ولاسيما شعر الغزوات والفتوحات الاسلامية ، وشعر الحوادث جاء لغرض ثوثيق الأخبار ، والأحداث ، وعامل جذب للقارئ ، وارتقاء بالحدث التأريخي ، وتجميل النص ، ورفع الرتابة والملل عنه ، في الوقت الذي ابتعد الأدباء والنقاد والمهتمين بجمع الشعر عن هذا اللون من الشعر ( أي شعر صدر الاسلام ) كونه لا يخضع لمقاييس الجودة عندهم المتمثلة بطول النفس الشعري ، وقوة اللغة وغرابتها وجزالتها ، وتوفر الشعر على الصور البيانية والمجازات ، مع وجود التكلف والمبالغة ، يضاف الى ذلك أن هذا الشعر ولاسيما شعر الفتوحات والحروب كان غالبا لايقال من قبل شعراء فحول مشهورين إنما يقال من الغمورين من الشعراء غير المعروفين الذين لم ينالوا حظا من الاهتمام والتقدير من قبل النقاد شأنهم شأن كبار الشعراء وفحولهم ، وعليه فإن كتب التأريخ هي مصادرنا المهمة لاستحصال شعر عصر صدر الاسلام ، وشعر الفتوحات ، والحروب والاحداث . ويمكننا تلخيص أسباب اهتمام المؤرخين بهذا الشعر بما يأتي :**

* **توثيق الأخبار والأحداث والمعارك .**
* **عامل جذب للقارئ وحثه على المتابعة ، وإبعاد الملل عنه .**
* **وسيلة لتجميل النص التاريخي . وزخرفته بالشعر لما للشعر من سطوة وهيمنه على النفوس .**
* **رفع مصداقية النص التاريخي .**

**هذا في الوقت الذي ابتعد الأدباء ، والنقاد ، والمهتمين بالشعر العربي من القدامى عن هذا الشعر – أقصد شعر صدر الاسلام – وذلك لأسباب :**

* **كونه لا يخضع لمقاييس الجودة عندهم ، من طول النفس الشعري ، وقلة أو انعدام الجوانب الفنية من صور وتشبيهات ومجازات ، وجوانب بلاغية أخرى ، وعدم توفره على غرابة اللغة بل لغته سهلة واضحة**

**- إن هذا الشعر ينسب لشعراء مغمورين غير معروفين ولا فحول ، ممن لم ينالوا**

**حظا من اهتمام وتقدير المهتمين بالشعر وجمعه ونقده من النقاد العرب القدامى**

**ولعل من أبرز ملامح الشعر في عصر الرسول ظهور مدرستين للشعر ، أحداهما معارضة للعقيدة الاسلامية ، والأخرى مؤيدة لها ، وهما :**

1. **مدرسة المعارضة السياسية في مكة : وهي المدرسة الشعرية المكية ، وظهور هذه المدرسة الشعرية دليل على ازدهار الشعر في ظل الاسلام وهذا عكس ما ذهب اليه الكثير من الدارسين القدامى والمحدثين من أن الشعر انتكس وقل وضعف في صدر الاسلام ، اذن هذا شاهد ودليل على ازدهار الشعر في الاسلام فالاسلام أنطق المكيين الذين لم يظهر من بينهم شاعر في الجاهلية ، فقد ظهر في مكة شعراء لم يقولوا الشعر في الجاهلية بل أن عظم الاحداث هي التي انطقتهم (2)**

**كما أن القرآن حدثنا عن نشاط التيار الشعري المعارض للاسلام وهذا دليل اخر على كثرة الشعر ونشاطه في الاسلام ولو لم يكن كذلك لما خصص القرآن سورة بأكملها بأسم ( سورة الشعراء ) .**

**اذن هناك شعر كثير، والتاريخ والاخبار والقرآن كل يشير الى ذلك ، ولكن مامدى صدق هذا الشعر وتعبيره عن الاحداث وكميته التي وصل بها ، فعند مقارنة كل ذلك بالشعر الذي وصل الينا فعلا نجده مضطربا ، مهلهلا ، ضعيف النسج ، فهو شعر منتحل في الغالب نسب الى شعراء ولم يتفق النقاد على صحته والسبب في ذلك أنه قيل في خدمة العقيدة الوثنية ، وفي هجاء صاحب الدعوة الاسلامية والتغزل بنسائه وذم أصحابه ، وقيل في مديح رجال الكفر في قريش ، ورثاء قتلى المشركين في حروبهم مع المسلمين ، وقد تحرج الرواة المسلمون عن رواية هذا الشعر وتداوله لذلك فما وصل من شعر هذه المدرسة قليل جدا رواه ابن هشام في كتابه ( السيرة النبوية ) كما ورد البعض من شعرهم في دواوين الشعراء المسلمين كحسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، لأنهم دخلوا في نقائض هجائية معهم فكانت تذكر قصيدة الخصم لغرض الرد عليها .**

**مميزات شعر المدرسة المكية :**

* **يتميز شعر المدرسة المكية بأنه شعر تجلت فيه روح العداوة والحقد على الاسلام والمسلمين**
* **تميز بأنه شعر قليل ومضطرب ومهلهل والقليل منه ثبتت صحته وصدقه**
* **لا شك أنه شعر جديد بموضوعاته ومعانيه لانه نشأ على هامش الخلافات والمواجهات بين الكفار والمسلمين**
* **تميز شعرهم بقوته وجزالته وغرابة الفاظه ، فقد سلكوا فيه مسلكا جاهليا**
* **سبق شعراء هذه المدرسة الشعراء المسلمين في استعمال الشعر وسيلة للحرب ومواجهة المسلمين باللسان قبل السيف**
* **المدرسة المكية تفتقر الى الأصالة والعراقة ، فمعظم شعرائها شعراء جدد انطقتهم الاحداث ، مع أن البعض منهم كانوا من الشعراء المخضرمين الذين نظموا شعرا في جاهليتهم ، وأجادوا في ذلك . وكثير منهم لم يكونوا كذلك ، كما أن النقاد لم يهتموا بشعرهم ولم يستشهدوا به .**
* **من أهم شعراء المدرسة المكية --**
* **ابن الزبعرى(3) . هو عبد الله بن الزبعرى أول الشعراء المكيين وأبرزهم ، وأشدهم عداوة للمسلمين ، وهجاء لهم وتحريضا عليهم ، وهو أشعر قريش واكثرهم شهرة ، له نقائض هجائية مع حسان وكعب بن مالك ، وله مناقضات في بدر واحد يرد على المسلمين ويرثي قلى المشركين ، حتى اذا كان عام الفتح ودخلت مكة في دين الله أخذته العزة بالأثم فهرب الى نجران فهجاه حسان وعيره في بيت من الشعر قال فيه : (4)**

**لا تعدمن رجلا أحلك بغضه نجران في عيش أجد لئيم**

**فلما بلغه هذا البيت قدم على الرسول معتذرا ومسلما بين يديه ، فقبل اعتذاره**

**ومما قاله في رثاء قتلى المشركين في بدر : (5)**

**ماذا على بدر وماذا حوله من فتية بيض الوجوه كرام**

**تركوا نبيها خلفهم ومنبها وابني ربيعة خير خصم فئام**

**والحارث الفياض يبرق وجهه كالبدر جلى ليلة الأظلام**

**وقال بعد أن أسلم يعتذر من الرسول : (6)**

**منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم**

**مما أتاني أن أحمد لامني فيه فبت كأنني محموم**

**يا خير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين غشو**

**إني لمعتذر اليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهيم**

**فاغفر فدى لك والداي كلاهما ذنبي فإنك راحم مرحوم**

* **ضرار بن الخطاب (7) : ثاني شعراء مكة ، ضرار بن الخطاب شاعر له أثره وخطره في التهجم على الدين الاسلامي وأصحابه المسلمين ، وهو معدود من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين ، حتى قالوا ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم ، عرف بحياته اللاهية ، كان يتصعلك ، أسلم يوم الفتح ومن شعره في أحد يزهو بنصر قريش ويفخر : (8)**

**إني وجدك لولا مقدمي فرسي إذ جالت الخيل بين الجزع والقاع**

**مازال منكم بجنب الجزع من أحد أصوات هام تزافى أمرها شاعي**

**إني وجدك لا انفك منتطقا بصارم مثل لون الملح قطاع**

**شم بهاليل مسترخ حمائلهم يسعون للموت سعيا غير دعداع**

**وقال حين اسلم يعتذر من الرسول قائلا : (9)**

**يانبي الهدى اليك لجاحي ي قريش وأنت خير لجاء**

**حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إله السماء**

* **هبيرة بن أبي وهب (10) : من شعراء قريش المعروفين بشعرهم في الجاهية ، قال عنه ابن سلام : ( وله شعر كثير وحديث ) وكان هبيرة شديد العداء للرسول والمسلمين ، ناضل عن الشرك بسيفه ولسانه ، شهد يوم بدر واحد وقاتل ، وقال يفخر بيوم أحد : (11)**

**نحن الفوارس يوم الجر من أحد هابت معد فقلنا نحن نأتيها**

**هابوا ضرابا وطعنا صادقا خذما مما يرون وقد ضمت قواصيها**

**ثمت رحنا كأنا عارض برد وقام هام بني النجار يبكيها**

**كأن هامهم يوم الوغى فلق من قيض ربد نعته عن أداحيها**

**لقد بقى هبيرة على كفره ومكابرته معتزا بالاثم فلم يسلم واسلمت زوجته أم هاني ( هند بنت أبي طالب ) فغضب لذلك وقال شعرا في ذلك ، ويذكر الرواة انه هرب بعد الفتح الى نجرا وبقي على كفره حتى مات**

* **ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (12) : من شعراء قريش واكثرهم عداوة للرسول هو ابن عم الرسول ورضيعه أي أخوه في الرضاعة ، كان شديا على الرسول حتى قال فيه صلى الله عليه وسلم ( أما ابن عمي فهتك عرضي ) ، ابو سفيان هو ثالث الشعراء ترتيبا في طبقات ابن سلام من شعراء مكة ، ويقول ان له شعر كثير سقط ولم يصل الينا الا القليل ، ورد له شعر قليل رواه ابن هشام في السيرة ، ويلاحظ ا عليه هبوط قيمته الفنية ، وعرف عنه خصومته مع شاعر الرسول حسان بن ثابت وكانت بينهما نقائض هجائية متعدده ، أسلم يوم الفتح وعرف عنه حسن اسلامه وصدقه وقربه من الرسول ، قال معتذرا وذاكرا ضلالته وكفره ونادما : (13)**

**لعمرك أني يوم يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد**

**لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أهدي وأهتدي**

**هداني هاد غير نفسي ودلني على الله من طردته كل مطرد**

**أصد وأنأى جاهدا عن محمد وأدعي – إن لم أنتسب – من محمد**

* **الحارث بن هشام (14) : من شعراء قريش الذين ساهموا بالسيف واللسان في المعارضة والعداء للدين الجديد ، فلما شهد بدرا وكانت الهزيمة لقريش كان من الهاربين، فعيره حسان بذلك شعرا**
* **ابو عزة الجمحي (15)ة: من شعراء مكة ، كان مسنا ومعوزا ذا عيال ، حضر بدرا فوقع أسيرا بيد المسلمين ، فكلم الرسول ان يطلقه لانه صاحب عيال ولا مال له فاطلقه الرسول على ان لايعود الى ذلك فقال شعرا في حق الرسول : (16)**

**من مبلغ عني الرسول محمدا بأنك حق والمليك حميد**

**وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة لها درجات سهلة وصعود**

**فإنك من حاربته لمحارب شقي ومن سالمته لسعيد**

**فلما كان يوم أحد خرج مرة أخرى وألف وعده مع الرسول وقال شعرا يؤلب على المسلمين فوقع اسيرا بأيديهم فاستعطف الرسول ثانية وأبى الرسول ان يخدع ، فأمر بضرب عنقه .**

**ومن شعراء مكة الاخرين معاوية بن زهير بن قيس ، شداد بن الأسود الليثي ، مسافع بن عبد مناف ، مقيس بن صبابة ، وهناك نساء شواعر مكيات ، كان لهن أثر كبير في دفع المقاتلين الى القتال وتحريضهم ، وأثارة الاحقاد ، وبكاء القتلى ، وأول تلك الشاعرات وأجودهن شعرا وأكثرهن نتاجا أصدقهن حزنا على قتلى المشركين هند بنت عتبة ، كانت من أشدهن حقدا على الرسول ، كانت مصيبتها ببدر كبيرو إذ قتل أبوها ، وأبنها ، وعمها ، وأخوها ، وقد ذكرتهم كثيرا ومما قالته : (17)**

**أبكي عميد الأبطحين كليهما وحاميهما من كل باغ يريدها**

**أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي وشيبة والحامي الذمار وليدها**

**أولئك آل المجد من آل غالب وفي العز منها حين ينمي عديدها**

**أما في أحد فخرجت هند تشجع المقاتلين وتضرب بالدفوف وتؤلب على الانتقام والأخذ بالثأر وتنشد محرضة : (18)**

**إن تقبلوا نعانق**

**ونفرش النمارق**

**أو تدبروا نفارق**

**فراق غير وامق**

**وكانت هند شديدة الفرح بقتلى المسلمين ، والتشفي بهم وبحمزة الذي مثلت بجثمانه، فقالت في ذلك : (19)**

**شفيت من حمزة نفسي بأحد حتى بقرت بطنه عن الكبد**

**أذهب عني ذاك ما كنت أجد من لذعة الحزن الشديد المعتمد**

**والحرب تعلوكم بشؤبوب برد تقدم إقداما عليكم كالأسد**

**أسلمت هند يوم الفتح ولكن بقي في نفسها شيئا من مصاب بدر ، ومن الشواعر الاخريات . صفية بنت مسافر بن أمية بن عبد شمس ، ومنهن قتيلة بنت النضر بن الحارث ، وكانت قد عاتبت الرسول في قتل ابيها النضر بن الحارث وكان يتمادى في إيذاء الرسول .**

1. **مدرسة التأييد والولاء للإسلام ( المدرسة المدنية ) (20)**

**مدرسة المدينة ، وهي مدرسة شعرية عريقة ظهرت بعد هجرة الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) الى المدينة ، وبعد نشوب الحرب الكلامية بين المسلمين وكفار قريش، وبعد أن بدأت هجمة كفار قريش على المسلمين والرسول من خلال الشعر وبدى تأثير ذلك كبيرا وواضحا على المسلمين بشكل سلبي ، لأننا ندرك مدى تأثير الشعر على النفوس في المجتمع العربي لاسيما وقد كان الاسلام فتيا في بدايته ، فكان لابد من اسكات تلك الأبواق الشرسة ومواجهتها بأسلوب مماثل لصدها والعمل على التخفيف منها وحماية مبادئ الاسلام وقيمه التي لازالت في بدايتها ، وحماية رجاله لاسيما رسول الله قائد الجمع الاسلامي وأصحابه من حوله .**

**يمثل هذه المدرسة مجموعة من الشعراء المهاجرين والأنصار ، فمن الأنصار حسان بن ثابت الأنصاري ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، ومن المهاجرين عبد الله بن جحش ، وأبو أحمد بن جحش ، وعبدالله بن الحارث السهمي ، وعبدالله بن حذافة ، وهند بنت أثاثة ، وصفية بنت عبد المطلب . أما مميزات شعر هذه المدرسة ، فهي :**

**- وصل الينا شعر هذه المدرسة كاملا باهتمام الرواة لأنه شعر يمثل العقيدة الاسلامية فعمل الرواة على نقله وحرصوا على الاهتمام به خدمة للإسلام**

**- ان شعراء هذه المدرسة هم من الشعراء الفحول غالبا ، الذين كانت لهم تجربة في النظم لأنهم من الشعراء المخضرمين الذين عرفوا بمواهبهم الشعرية .**

**- ان موضوعات شعر هذه المدرسة كله في صالح الاسلام والمسلمين ، فمن موضوعاته التغني بالقيم الاسلامية والترويج لها ونشرها ، والدفاع عن الاسلام والعقيدة الاسلامية من دعاوى المشركين ، ورثاء شهداء المسلمين ورجالها ومديحهم ، ووصف معاركهم ، وهجاء أعدائهم**

**- تميز شعرهم بسهولة لغته ووضوحها وقلة التفنن فيه وابتعاده عن المبالغة ، ذلك لانهم تأثروا بالقرآن الكريم الذين سبق واشرنا أنه هذب اللغة وخلصها من الغريب فضلا عن تأثرهم بالحديث الشريف ، وحالة الاستقرار التي أصبحوا عليها .**

**- جمع شعراء هذه المدرسة بين أسلوبين أولهما : الأسلوب الاسلامي الجديد الذي تأثروا به فكانت كثير من ألفاظهم مستوحاة من القرآن وكذلك المعاني الاسلامية الجديدة ، وما يخص الموضوعات والافكار والصور ، وثانيهما : الأسلوب الجاهلي القديم الذي ظل يتسرب الى قصائد الشعراء دون تعمد لأنه جزء من إرثهم القديم الجاهلي لاسيما وهم من الشعراء المخضرمين ، ولعل ذلك يبدو واضحا عند حسان بن ثابت خاصة في غرض الهجاء لديه فقد استخدم أسلوبا جاهليا في هجائه للمشركين ، كالطعن والتعيير بالنساب وسلب المحامد والسخرية والاستهزاء ، وأسلوب المفاضلة ، وأسلوب التحقير والتصغير ولعل هذا الاسلوب الجاهلي القديم ينطبق ينطبق على غرض الفخر عنده ، ولازال هؤلاء يفتتحون قصائدهم بالطلل والغزل وحتى وصف الخمرة أحيانا وكل هذا جزء من أساليب جاهلية قديمة لم يستطع الشعراء المسلمون التخلص منها .**

**أما أشهر شعراء المدرسة المدنية :**

* **حسان بن ثابت الأنصاري ، ولنا وقفة متأنية معه إن شاء الله لاحقا .**
* **كعب بن مالك (21) وهو من شعراء المدينة من قبيلة خزرج ، آزر الرسول وشاركه في غزواته فقد كان محاربا شجاعا ، دافع عن الاسلام بسيفه ولسانه ، ناقض شعراء الشرك وهجاهم ، واكب كعب معظم أدوار الدعوة الاسلامية بصدق ، ولم يتخلف عن القتال سوى في معركة تبوك ، وحكم عليه القرآن بالبراءة في سورة التوبة ( 22) ، تمثلت في شعر كعب روح الاسلام وقيم القرآن ، وإن تمثلت في بعض قصائده الروح الجاهلية في مناقضاته مع شعراء الكفار ، له ديوان مطبوع**
* **عبد الله بن رواحة (23) : شاعر خزرجي من المدينة ، كان عظيم القدر في قومه سيدا في الجاهلية ، ناقض وهجا في حروب قومه في الجاهلية مع الشاعر قيس بن الخطيم ، وكان في الاسلام عظيم القدر والمكانة عند الرسول ، تمثلت في شعره قيم الاسلام وروح الدين ، شهد بدرا وغيرها من الغزوات واشتشهد في مؤتة ، ناقض شعراء المشركين وعيرهم بالكفر ولكن هذا الهجاء ماكان يضرهم ، بل فخروا بكفرهم ولكن هجاء حسان القائم على الاسلوب الجاهلي كان مضرا بهم ومؤذيا لهم ، وكان ينزل عليهم مثل الصاعقة**
* **الحطيئة : وسوف تكون لنا معه وقفة لاحقا إن شاء الله .**
* **كعب بن زهير : وهذا ايضا ستكون لنا معه وقفه بإذن الله لاحقا وقصيدته الشهيرة البردة**
* **النابغة الجعدي : (24) هو قيس بن عبدالله ، كنيته أو ليلى من نابغة بني جعدة ، من الشعراء المخضرمين المعمرين ، وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الجاهلية ، ووصفه بأنه شاعر مفلق ، وقال انه أوصف للفرس ، أسلم مع بداية الدعوة وكان حسن الاسلام ، مدح الرسول بشعره ، وهو الذي دعا له الرسول بقوله ( لا فض الله فاك ) فبقي حتى آخر عمره ولم ينقص له سن ، وكان من المعمرين .**

**النقائض الشعرية في عصر الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم )**

**النقائض : هي جمع نقيضة ، وقد وردت اللفظة في معجمات اللغة – في معناها اللغوي أن النقيضة مأخوذة من النقض ، والنقض في البناء هو الهدم ، وفي الحبل ، بمعنى حله ، وفي العهد ، بمعنى عدم إبرامه ، وقيل النقض ضد الإبرام ، والمناقضة في القول : أن يتكلم بما يتناقض معناه ، أي يتخالف ، وناقضه في الشيئ مناقضة ونقاضا : أي خالفه (25) ، أما في المعنى الاصطلاحي ، فهو أن ينظم شاعر قصيدة يهجو بها شاعر آخر فيرد عليه الشاعر الآخر بقصيدة على الوزن والقافية نفسها محاولا نقض معاني الشاعر الاول ، ورد الهجاء عليه بتتبع العيوب والمعاني ونقضها .**

**والنقائض ظاهرة شعرية عميقة وأصيلة في الشعر العربي وليست جديدة في هذا العصر وعرف الشعر العربي ألوانا اخرى كالمفاخرات ، والمنافرات واشهرها ماكان بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل في العصر الجاهلي ، وكل هذه ( مناقضات ، مفاخرات ، منافرات ) تقترب من بعض في اغراضها واهدافها فهي تقترب من الهجاء والتفاخر والتسابق في اثبات التفوق على الخصوم ، وأما المعارضات فهي ظاهرة شعرية ينظمها الشاعر على منوال قصيدة اعجب بها فأراد ان يجاريها في الاسلوب والبيان وروعة السبك فيعمد الى معارضتها وصياغة قصيدة في ذات الموضوع والوزن والقافية ، كمعارضة امرئ القيس لعلقمة في وصف الفرس ، ومعارضة الشعراء لبردة كعب بن زهير اعجابا بها واجلالا .**

**والنقائض من الفنون الشعرية القديمة التي تزدهر في ظل الهجاء والصراعات القبلية والشخصية والسياسية ، وفي ظل الحروب والغزوات وكانت لها ضوابط واصول في العصر الجاهلي ، وعرف منها النقائض الشخصية والقبلية ، وقد تطورت النقائض في ظل الاسلام وانتعشت ونشطت بسبب الصراعات العقائدية بين المسلمين وكفار قريش اذ كان الشعر وسيلة للدفاع عن النفس والعقيدة ورد الاعتداء ولاسيما شعر الهجاء الذي كان له دور بارز في تلك المرحلة . لقد اختلفت النقائض الاسلامية عما كانت عليه في العصر الجاهلي في الامور التالية : (26)**

**1- من حيث الغاية أو الهدف : فقد أصبحت في الاسلام دفاعا عن العقيدة والدين والدفاع عن الرسول والقيم الاسلامية وحفظها بشكل خاص، والقيم الانسانية بشكل عام ، بينما كانت في الجاهلية تقال لغرض يتعلق بالقبيلة ورجالها ومصالحها لا أكثر .**

**2 - من حيث الدافع ، فإن النقيضة في الاسلام أصبح دافعها عقائديا صرفا ولا دافع آخر غيره ، بينما كانت دوافعها في الجاهلية قبيلية شخصية**

1. **من حيث المعاني ، فالنقائض الاسلامية تقوم على معان تتصل بالعقيدة والدين** الاسلامي الجديدة كمسألة اليمان والكفر ، الثواب والعقاب ، الجنة والنار ، الحلال **والحرام ، عبادة الاوثان والتوحيد وغيرها من المعاني المتعلقة بالصراع بين الفئتين أما النقائض الجاهلية فالمعاني فيها تتصل بالقبيلة ومفاخرها وأمجادها ، بالانساب والاصول بالغنى والجاه والمكارم وغيرها:**

**4 من حيث الاسلوب : وقد تعددت اساليب الشعراء الاسلاميين فبعضهم استخدم اسلوبا جاهليا قديما كحسان بن ثابت اذ استخدم السخرية والتحقير والتعيير بالمثالب والكلام الفاحش والطعن الانساب ، وكذلك هناك اسلوب اسلامي يقوم على الالتزام بتعاليم الاسلام دون تخطيها ولهذا نجد ان هناك اسلوبا يقوم على الغرابة والجزالة والقوة وآخر يقوم على الوضوح والسهولة ،وقد تفاوتت أساليب الشعراء الاسلاميين في ذلك ، أما النقائض الجاهلية فهي تقوم على اسلوب واحد يتميز الجزالة والقوة والصعوبة .**

**نماذج من نقائض المسلمين مع شعراء الكفار**

**|0 نموذج رقم 1 )**

**قال ضرار بن الخطاب يوم بدر : (27) ( من الطويل )**

**عجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا والدهر فيه بصائر**

**وفخر بني النجار أن كان معشرا أصيبوا ببدر كلهم ثم صائر**

**فإن تك قتلى غودرت من رجالنا فإنا رجال بعدهم سنغادر**

**وتردي بنا الجرد العناجيج وسطكم بني الأوس حتى يشفي اانفس ثائر**

**ووسط بني النجار سوف نكرها لها بالقنا والدارعين زوافر**

**فنترك صرعى تعصب الطير حولهم وليس لهم إلا الأماني ناصر**

**وتبكيهم في أهل يثرب نسوة لهن بهاليلعن النوم سهر**

**فإن تظفروا في يوم بدر فإنما بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر**

**فأجابه كعب بن مالك بقصيدة منها : (28) ( من الطويل )**

**عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد وليس لله قاهر**

**قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا بغوا وسبيل البغي بالناس جائر**

**وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكاثر**

**وسارت إلينا لا تحاول غيرنا بأجمعها كعب جميعا وعامر**

**وفينا رسول الله والأوس حوله له معقل منهم عزيز وناصر**

**وجمع بني النجار تحت لوائه يمشون في المآذي والنقع ثائر**

**فلما لقيناهم وكل مجاهد لأصحابه مستبسل النفس صابر**

**شهدنا بأن الله لارب غيره وأن رسول الله بالحق ظاهر**

**ويلاحظ توفر قصيدة كعب بن مالك على معان والفاظ اسلامية واضحة ، فقد حول الفخر الجاهلي الى ايمان بقضاء الله وقدره الذي لا يرد ، ووصف أعداء المسلمين بالبغي والعدوان والتأليب على الشر ، كما وصف المسلمين بالصبر والاستبسال في سبيل الله ، وان رسول الله بينهم عزيز منتصر بقوة ايمانهم ، وحسن بلائهم لا بالحظ والجد كما يقول الشاعر المشرك ضراربن الخطاب في آخر بيت له ، ثم هو يشهد بوحدانية الله ورساله رسوله الظاهر بالحق، وتلك هي شهادة الاسلام ،**

**( نموذج رقم 2)**

**وهذه نقيضة لأبي سفيان بن الحارث مع حسان بن ثابت بعد غزوة أحد ، إذ قال ابو سفيان الذي كان متشفيا بمن قتل من المسلمين : (29)**

**وسلي الذي قد كان في النفس أنني قتلت من النجار كل نجيب**

**ومن هاشم قرما كريما ومصعبا وكان لدى الهيجاء غير هيوب**

**ولو أنني لم أشف نفسي منهم لكان شجا في القلب ذات ندوب**

**فآبوا وقد أودى الجلابيب منهم بهم خدب من معطب وكئيب**

**فأجابه حسان بن ثابت قائلا : (30)**

**ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ولست لزور قلته بمصيب**

**أتعجب أن أقصدت حمزة منهم نجيبا وقد سميته بنجيب**

**ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه وشيبة والحجاج وابن حبيب**

**غداة دعا العاصي عليا فراعه بضربة عضب بله بخضيب**

**ويلاحظ بأن ابا سفيان يفخر بأنه انتقم من بني هاشم ومن كبار بني النجار أخوال الرسول من الخزرج ، ويعير المسلمين بهزيمتهم ، وقد رد عليه حسان بأن حمزة لم يضع دمه هدرا ، فقد سبق وان قتل المسلمون في بدر جماعة من عظماء قريش ، ويلاحظ ان الشاعرين يتحدثان بمعان جاهلية بما فيهما حسان بن ثابت**

**( نموذج رقم 3 )**

**القصيدة لهند بنت عتبة بعد أن مثلت بجثمان حمزة بعد وقعة أحد ، صعدت على صخرة مشرفة ( عالية ) فأنشدت بأعلى صوتها تشفيا بحمزة : (31)**

**نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر**

**ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه وبكري**

**شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري**

**فشكر وحشي على عمري حتى ترم أعظمي في القبر**

**فردت عليها من شواعر المسلمين هند بنت إثاثة فقالت : (32)**

**خزيت في بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر**

**صبحك الله غداة الفجر ملهاشميين الطوال الزهر**

**بكل قطاع حسام يفري حمزة ليثي وعلي صقري**

**إذ رام شيب وأبوك غدري فخضبا منه ضواحي النحر**

**ونذرك السوء فشر نذر**

**وتبدو هند بنت عتبة فرحتها بقتل حمزة ، وترى في ذلك شفاء لصدرها مما أصابها يوم بدر ، وقد شفت غليلها ووفت نذرها بمساعدة وحشي الذي ستبقى مدينة له ما بقيت ،وأما هند بنت اثاثة الشاعرة المسلمة فتدعو لهند بنت عتبة بالخزي والعار ، وتصف اباها بانه هالك كافر عنيد ، وتنذرها بأن الهاشميين لن يسكتوا على مصابهم في حمزة فلابد سينتقمون، واللمحات الاسلامية واضحة على ابيات الشاعرة المسلمة وإن كانت قليلة ولم تصل الى مستوى الحدث .**

**وهكذا كان الصراع بين المسلمين والمشركين عاملا مساعدا في حدوث نهضة شعرية وازدهار الشعر وما النقائض الشعرية الا صورة من صور النهضة الشعرية التي حدثت بفعل الاسلام والاحداث المرافقة له ، ومثل هذا الشعر يشكل وثائق تأريخية مهمة للكشف عن أحداث العصر وفعالياته والتطور الذي احدثه الاسلام في مجالات الحياة وقد كان الشعر هو المرآة العاكسة لكل تلك الاحداث ، ولعل من أبرز السمات الفنية لشعر النقائض الاسلامية :**

1. **معظم هذا الشعر كان عبارة عن مقطوعات شعرية قصيرة تنسجم مع روح الحماسة والفخر ، والمواجهة السريعة بين شعراء الإيمان والكفر .**
2. **قيام معظمها على معان وألفاظ اسلامية ، ولعل هذا ينطبق على نقائض الشعراء المسلمين ، وذلك لتأثرهم بالاسلام كمعاني الإيمان والهدى ، والصلاة والصيام ، والبعث والثواب ، والحساب ، والجنة والنار ، والقضاء والقدر ، والوحدانية ، وهذه كلها معان اتخذها المسلمون لضرب المشركين ، ومحاولة النيل منهم ، أما نقائض المشركين فهي لا تختلف عن النقائض الجاهلية في معانيها وأسلوبها .**
3. **خلو النقائض من الإسفاف ، والفحش ، والبذاءة سواء أكانت من المسلمين أم المشركين .**
4. **تنوع أساليب شعراء النقائض ، فلم تكن بمستوى واحد من الجودة ، فبعضها يتمتع بأسلوب قوي جزل يشبه الأسلوب الجاهلي في غرابة لغته وقوتها ، ومنها مايتسم أسلوبه بالضعف والاضطراب ،ة وقد تكون حداثة الشاعرية القرشية للبعض سببا في ذلك ، وقد يكون إهمال الرواة لشعر كفار قريش ومن وقفوا ضد الاسلام وحاربوه سببا في اضطراب بعض هذا الشعر .**
5. **الجدة في الأفكار والمعاني والمضامين ، فكلا الفريقين يطرق ميدانا جديدا من القول بالانتصار للدعوة الجديدة او مناهضتها وتسفيهها .**
6. **قلة التفنن والتصنع في هذا اللون من الشعر إلا ماجاء منه عفويا ، ذلك لان معظمه جاء شعرا آنيا سريعا وليد انفعالات ، وصراعات ، فلم يلتفت الشاعر كثيرا الى الجوانب الفنية لانشغاله عن ذلك ، ولعدم حاجته الى ذلك .**
7. **الابتعاد عن المقدمات بأنواعها ، وعدم مراعاة الجوانب التقليدية في بناء النص ، وهذا جزء من الآنية والسرعة التي كان عليها الشاعر**
8. **توفر هذا اللون من الشعر على الوحدة الموضوعية كونه شعر مقطوعات قصيرة .**

**واقع الشعر في العصر الراشدي**

**تقديم :**

**ظل الشعر في عصر الخلفاء الراشدين يحتل مكانة سامية ، واداة طيعة لنشر الاسلام والدفاع عنه وصيانته أمام شراسة اعدائه ، وعلى الرغم من أن العصر الراشدي هو امتداد لعصر الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) لكن هناك تطورات وأحداث استجدت في هذا العصر كان لها وقعا على الأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص ، ومن هذه الأمور والاحداث :**

* **حروب الردة**
* **الفتوحات الاسلامية**
* **الاضطرابات والفتن في نهاية العصر**
* **اتساع الدولة الاسلامية إداريا وسياسيا .**
* **شعر حروب الردة**

**حروب الردة : اذا أردنا أن نطلع على شعر حروب الردة لابد من التعريف بحروب الردة ، حروب الردة هي سلسلة من المعارك التي قادها المسلمون على الذين ارتدوا عن الاسلام بعد وفاة الرسول وامتدت لعامين من الزمن وحدثت في خلافة ابي بكر الصديق ، لقد ارتدت بعض القبائل عن الاسلام حين علمت بوفاة الرسول وكإنما الاسلام انتهى بوفاة الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، وانه حكر عليه ، ولكن بحزم ابي بكر وحسن تدبيره ،وبعد نظره أستطاع القضاء على هذه الحركة وأرجع المرتدين الى حظيرة الدولة الاسلامية والواضح ان جل المرتدين كانوا من أعراب البادية الذين كان اسلامهم هشا ضعيفا ، متصورين ان الاسلام هو اتباع الرسول وانهم كانوا يطيعون الرسول لذاته فإن مات فلا سلطة لأحد بعده عليهم وهذا ما عبر عنه الحطيئة في هذين البيتين : (33)**

**أطعنا رسول الله مذ كان بيننا فيالهف نفسي مالدين أبي بكر**

**أيورثها بكرا إذا مات بعده فتلك لعمرو الله قاصمة الظهر**

**وإذا علمنا أن جل المرتدين أو معظمهم كانوا من الأعراب سكان البادية ، يتضح لنا سبب الارتداد وهو ضعف نفوس الاعراب وهشاشة الاسلام في قلوبهم ، ورقته وضعف ايمانهم ، فلم ينظروا الى الرسول نظرة الايمان والاطمئنان التي نظربها إليه المهاجرون والانصار ، بل كانوا يعدونه رجلا أوتي السلطان والقوة فأطاعوه خوفا وخشية وليس ايمانا بما جاء به**

**كما أن أعرب البادية وهم الذين ارتدوا عن الاسلام كانوا يؤثرون الحرية وعدم التقييد وهذا هو حال اهل البادية ، وجاء الاسلام فدخلوا فيه عنوة وعلى مضض إذ وجدوه يقيدهم ويحد من حرياتهم ويفرض عليهم عبادات وطاعات ضاقوا بها ووجدوها عبئا عليهم كالصلاة والزكاة والصوم ، فلما ىوجدوا منفذا للتمرد عليها فعلوا ,**

**لقد وجد أعراب البادية ان قريشا لم تفضلهم الا بالنبوة لذلك كثر بينهم المتنبئون والمتنبئات فظهر في بني حنيفة مسيلمة الكذاب ، وفي اليمن الأسود العنسي ، وفي أسد طليحة بن خويلد ، وفي تميم سجاح بنت الحارث وفيها يقول الشاعر هاجيا بني تميم :**

**أضل الله سعي بني تميم كما ضلت بخطبتها سجاح (34)**

**لقد استمرت حروب الردة الى ما يقرب من عامين وكانت تلك الحروب بقيادة خالد بن الوليد ومن ابرز معارك المرتدين معركة اليمامة التي استشهد فيها جمع من الصحابة كما قتل من جانب المرتدين الكثير ، ومع ان حرب الردة هذه تعد انتكاسة في مسيرة الاسلام وجانبا سلبيا فيه إلا أنها من جانت آخر من العوامل التي ساهمت في ازدهار الشعر وتنوع موضوعاته، فهي عامل ايجابي ، لقد أفرزت حروب الردة شعرا لكلا الجانبين بموضوعات متنوعة ، وقد ضاع معظم هذا الشعر ولاسيما ماقاله شعراء الارتداد من الكفار اذ لم يلق اهتماما من جانب رواة الشعر والأدباء المسلمين شأنه في ذلك شأن شعر كفار قريش المعادي للاسلام في بداية الحرب التي نشبت بين المسلمين وكفار قريش ، كما أن هناك عاملا آخر وهو أن هذا الشعر قيل في ظل ظروف تساعد على ضياع الشعر وهي الحرب فقد قيل هذا الشعر ارتجازا في سوح المعرك وضاع بمقتل الذين قالوا هذا الشعر فلم يتبقى منه الا القليل ،**

**وكما تعرض بعض هذا الشعر للضياع كذلك تعرض للانتحال ، والطمس المتعمد لأنه يحمل عقيدة مخالفة للاسلام كما ذكرنا .**

**ومع هذا فقد وصل البعض الآخر منه ويعد هذا الذي وصل منه وثائق تأريخية مهمة تطلعنا على أحداث ذلك العصر ومتغيراته بكل صدق وأمانه .**

* **موضوعات شعر حروب الردة \_**

**يمكننا ان نقسم شعر حروب الردة على قسمين :**

**أولها : شعر الشعراء المرتدين :**

**وبالتأكيد فان الموضوعات تتباين مابين الفريقين أما موضوعات المرتدين فكله شعر عصبية قبلية ، سخرية من الدين الاسلامي ورجاله ، تحريض على قتال المسلمين ، هجاء ابي بكر ورجال الاسلام الآخرين ، فخر بالضلالة والأرتداد والتخلف عن دفع الزكاة فخر بقتال المسلمين . ومما قيل من شعر من جانب المرتدين**

**نماذج من شعر المرتدين : قال الخيطل بن أوس أخو الحطيئة : (35)**

**فدى لبني ذبيان رحلي وناقتي عشية يحدى بالرماح أبو بكر**

**أبوا غير ضرب يحطم الهام وسطه وطعن كأفواه المرقعة الحمر**

**فقوموا ولا تعطوا اللئام مفادة وقوموا وإن كان القيام على الجمر**

**ولله أجناد تذاق مهانة لتحسب فيما عد من عجب الدهر**

**أطعنا رسول الله إذ كان صادقا فيا عجبا مابال دين أبي بكر**

**أيورثها بكرا إذا مات بعده فتلك وبيت الله قاصمة الظهر**

**ويقول ابو شجرة عبد العزى يذكر ويفخر بحربه لجيش المسلمين : (36)**

**صحا القلب عن مي هواه وأقصرا وطاوع فيها العاذلين فأبصرا**

**ألا أيها المدلى بكثرة قومه وحظك منهم أن تضام وتقهرا**

**سل الناس عنا كل يوم كريهة إذا ماالتقينا دارعين وحسرا**

**ألسنا نعاطي ذا الطماح لجامه ونطعن في الهيجا إذا الموت أقفرا**

**فرويت سيفي من كتيبة خالد وأني لأرجو بعدها أن أعمرا**

**ومن شعر المرتدين ماقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي ارتد فقال يهجو ( فروة بن مسيك ) وكان واليا عينه الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) عليهم : (37)**

**وجدنا ملك فروة شر ملك حمارا ساف منخره بثفر**

**وكنت إذا رأيت أبا عمير ترى الحولاء من خبث وغدر**

**وأول مايلاحظ على هذا الشعر أنه شعر جاهلي ليس فيه أثر للإسلام ذلك لأنه شعر الخارجين عن الاسلام ، كما تتجلى فيه روح العصبية لأقوامهم وقبائلهم .**

**ثانيها شعر الشعراء المسلمين :**

**وهو يشكل الغالبية من شعر حركة الردة ذلك لحرص الرواة على روايته وايصاله لأنه يقع ضمن شعر الدعوة الاسلامية ، وشعر الدفاع عن العقيدة وحمايتها من المرتدين . وقد تنوعت موضوعات الشعراء في هذه المعارك ومنها : تصوير المعارك الاسلامية بروح ايمانية عالية ، الدعوة للقضاء على الكافرين والتحفيز للنصر ، التغني بالنصر على المرتدين ، الوعيد والتهديد للمرتدين وتخويفهم من عقاب الله ، الفخر بالقوة والاقتدار ، ومنها ايضا رثاء الشهداء الذين قضوا في هذه المعارك والثناء عليهم والاشادة بمصيرهم إذ هم سعداء في جنان الخلد .**

**نماذج من شعرهم :**

**يقول أوس بن بجير الطائي مفاخرا بحسن البلاء وشدة البأس ، ويذكر مايلقى الكافرون من محنة وعذاب من الله : (38)**

**وليت أبا بكر يرى في سيوفنا وما تختلي من أذرع ورقاب**

**ألم تر أن الله لا رب غيره يصب على الكفار سوط عذاب**

**وقال الحارث بن مرة ينذر بني عامر الذين ارتدوا عن الاسلام : (39)**

**بني عامر إن تنصروا الله تنصروا وإن تنصبوا لله والدين تخذلوا**

**وإن تهزموا لا ينجكم منه مهرب وإن تثبتوا للقوم والله تقتلوا**

**وهذا عمير بن الحصين يحث على قتال المرتدين ، والثبات في الحرب : (40)**

**أهل نجران امسكوا بهدي الله وكونوا يدا على الكفار**

**ولاتكونوا بعد اليقين الى الشر----- ك وبعد الرضى الى الانكار**

**واستقيموا على الطري-------- - قة وكونوا كهيئة الأنصار**

**ومن الملاحظ ان معظم هذا الشعر الذي قيل في حركة الارتداد وحولها انما ينتمي الى شعراء البادية معظمه ولم يشارك فيه شعراء المدن تقريبا ، الا ماقال حسان بن ثابت مدافعا عن أبي بكر قائلا : (41)**

**ماالبكر إلا كالفصيل وقد ترى أن الفصيل عليه ليس بعار**

**أنا وما حج الحجيج لبيته ركبان مكة معشر الأنصار**

**نفري جماجمكم بكل مهند ضرب القدار مبادئ الأيسار**

**سمات شعر حروب الردة :**

* **معظمه كان شعر مقطوعات قصيرة تقال في سوح المعارك**
* **الآنية والسرعة والمباشرة في التعبير**
* **الخلو من الصور البيانية وذلك لأن الظرف الذي قيل فيه لن يسمح بذلك**
* **السهولة والوضوح والبعد عن الغرابة والتكلف ، لأنه شعر مطبوع بعيد عن التصنع**
* **يعد هذا الشعر وثائق تأريخية مهمة أرخ للأحداث والحروب آنذاك .**
* **توفره على وحدة الموضوع**
* **تجلي روح الحماسة والفخر بالقوة وشدة البأس**
* **توشحه بألفاظ القرآن الكريم والالفاظ الاسلامية فضلا عن المعاني والمضامين**
* **عدم توفره على الروح الاسلامية العميقة إلا ما كان سطحيا منها وربما لأن شعر الارتداد قام على اكتاف شعراء البادية الذين لم يتعمقوا بالمفاهيم الاسلامية ، ولم يعرفوها عن قرب ، وربما عجالة الموقف لم تسمح بالتأمل العميق واستنتاج الفكر الاسلامي بشكل واضح متأن . .**

**شعر الفتوحات الاسلامية (42)**

**تقديم :**

**تعد الفتوحات الاسلامية ظاهرة مهمة وعظيمة في تاريخ الأمة الاسلامية إذ انطلقت الجيوش العربية الاسلامية شرقا وغربا من أجل نشر الدين الاسلامي الى مشارق الارض ومغاربها ، وقد تجلى أثر الاسلام عقيدة وإيمانا وفكرا في حمل العرب على البذل والتضحية والفداء في سبيل نشر الدين الذي ارتضوه واعتقدوا أنه خير دين ارتضاه الله لهم ، وان نبيهم الذي بعث فيهم إنما بعث الى الناس كافة ، وأنهم هم ورثته في هداية الأمم الضالة ، فاندفعوا في حماس بالغ ينشرون الاسلام بهذا الاعتقاد والشعور خارج حدود بلادهم الى الشرق والغرب والشمال واثقين بالنصر ، آملين في إحدى الحسنيين : الشهادة أو النصر ، وبنعمة من الله استطاع المسلمون هدم امبراطوريتين عريقتين قويتين ( الفارسية والرومية ) ليرفعوا على انقاضهما أسس امبراطورية اسلاميو عظيمة في مدة وجيزة أذهلت التاريخ . فماذا كان وراء هؤلاء القوم ، وماذا كان يدفعهم الى ذلك وما حافزهم ؟ يقول الدكتور طه حسين : ( ولا شك في أن القرآن هو المؤثر الأول في هذا كله ، كانوا يقرءونه أو يقرأ عليهم فيملأ نفوسهم روعة وقلوبهم إيمانا ، ويدفعهم هذا كله أن يفعلوا الأعاجيب ، والى أن يتيحوا لقائد من قوادهم – هو خالد بن الوليد – أن يكتب الى بعض محاربيه حين دعاهم الى الاسلام ، أو الى الخضوع وأداء الجزية ، ثم قال لهم بعد ذلك : فإن أبيتم فإني قد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .. ... ) (43)**

**ولاشك أن هؤلاء العرب المسلمين الضاربين في ممالك الفرس والروم وغيرهم شرقا حيث العراق وفارس الى حدود الصين ، وشمالا حيث الشام الى بحر قزوين ، وغربا حيث مصر وتونس ، لاشك أن هؤلاء قد تأثروا نفسيا وحضاريا بما شاهدوه في هذه النواحي المفتوحة من طبيعة جديدة عليهم فيها الأنهاروالخصب والحضارة العريقة ، وفرق واضح بين بين نفسية وخيال عربي لم ير إلا الصحراء ، ونفسية وخيال عربي رأى ما لم يسبق له رؤيته ، هذا فضلا عما استشعره العرب المسلمون من ثقة واعتداد بأنفسهم ، واعتزاز بدينهم ، وهم يرون هذه الممالك العريق في حضارتها وهي تتهاوى تحت ضربات سيوفهم .**

**لقد حقق العرب انتصارات رائعة في أماكن كثيرة لازال التاريخ الاسلامي يفخر بها ويتغنى على أمجاد الفاتحين في أبرز معاركهم: كالقادسية واليرموك والجسر وبويب وجلولاء وغيرها كثير**

**والذي يهمنا من هذه الملاحم البطولية ما أفرزته من شعر شكل تراثا أدبيا جديدا غنيا**

**منوعا يحمل نشاط وبطولة اجدادنا العرب لسنوات امتدت على مدى العصور ، وهو بذلك شكل وثائق تأريخية مهمة تصور تلك الأحداث وتسجلها بدقة ولذلك نرى اهتمام المؤرخين بشعر الفتوحات الاسلامية اذ شكل مادة مهمة لتوثيق الاحداث التاريخية ورفع مصداقيتها ، ولهذا فقد أصبحت المؤلفات والكتب التاريخية هي المصدر الاول لشعر الفتوحات الاسلامية ، كتاريخ الطبري وتاريخ ابن الاثير بينما لم نجد هذا الاهتمام من جانب الادباء والمهتمين برواية الشعر ونقده ذلك لأن شعر الفتوحات لم يلق رواجا من جانبهم كونه لا يخضع للمقاييس التي تجذب اهتمامهم في الشعر أو القصيدة العربية كغرابة اللغة وطول النفس الشعري وكثرة الصور البيانية والبلاغية وخضوعها للبناء الفني التقليدي ، كل هذا لم يتوفر في شعر الفتوحات لذلك لم يلق اهتماما من لدن الادباء والنقاد العرب ، وأظننا قد لمحنا الى هذا في مبحث سابق .**

**والآن ما مكانة الشعر خلال هذه الملاحم البطولية ؟ هل عايشها وسار في ركابها وانطلق معها الى البيئات الجديدة ؟ نعم لقد سايرها وعبر عنها بكل طاقاته تعبيرا منوعا رسم من خلاله صورا فريدة جديدة لم نعهدها عند الشاعر العربي من قبل . لقد شغلت هذه الفتوحات طاقة الأمة كلها ، وانتظم في ميادينها كل قادر على حمل السلاح من شباب المسلمين وشيوخهم ، وفيهم من الشعراء ، ومن كمنت فيه موهبة الشعر عدد غير قليل غير أن أحداث المعارك المتلاحقة السريعة ، والانتقال من مكان الى آخر ومن جهة الى آخرى قد أوحت الى بعض المؤرخين والباحثين بأن المواهب الشعرية قد ألهتها هذه الأحداث عن قول الشعر ، وكان ذلك عندهم سببا في قلة الشعر وانكماشه وضعفه في صدر الاسلام وكما مر بنا .**

**ولقد يبدو الأمر على خلاف ذلك . فنرى أن الفتوح الاسلامية كانت خيرا وبركة على الشعر في هذه الفترة ، وكانت حافزا قويا لنظمه ، لأنها أذكت جذوة الشعر وأطلقت الألسن وفتحت القرائح والموهب بما فتحت أمام الشعر من مجالات واسعة ، وبما وضعت أمام الشعراء من مواقف كانوا يتحرجون منها قبل الفتوح ويظنون أنها محرمة عليهم ، كالفخر ، فلا بأس على الشاعر أن يفخر بشجاعته وبأسه على العدو وبحمايته للدين والعقيدة ، نعم لا ضير على المسلم إن شعر بما لقبيلته من بلاء عظيم في سبيل العقيدة ، حتى وان كان فخرا فرديا بذاته ، أو بقبيلته ، لقد شعروا أن أبواب الشعر كلها مفتوحة أمامهم**

* **ملاحظات حول شعر الفتوحات –**
* **وصل الينا شعر الفتوحات معظمه من خلال كتب التأريخ وليس الأدب وقد عرفنا السبب وراء ذلك .**
* **تعرض الكثير من شعر الفتوحات للضياع وذلك 1 - كونه قيل في سوح الحرب والقتال 2- وكذلك بعد الاماكن التي فتحها العرب عن مركز الدولة الاسلامية ، فقد كانت هذه الاماكن خارج الجزيرة والمعروف ان التدوين والرواية يتم في الحواضر والمدن . 3 - والسبب الآخر استشهاد حفظة الشعر في المعارك ، والمعروف ان الشعر كان يحفظ في الذاكرة ، وعليه يضيع الشعر بموت من كان يحتفظ به في ذاكرته 4- الفارق الزمني أو البعد الزمني بين تدوين الشعر ونظمه أي يتعرض الشعر للنسيان لمرور وقت طويل الى أن يدون بعد انتهاء المعارك**
* **كثير من شعر الفتوحات مجهول النسب أي لايعرف قائله وذلك لأن معظم شعراء الفتوحات هم من الشعراء الجدد الذين أنطقتهم الأحداث ، ولعل هذا أحد الأسباب التي جعلت الادباء لايهتمون لهذا الشعر لأن أصحابه ليسوا من الشعراء الفحول والكبار المعروفين في المحافل الأدبية .**
* **لقد أبرزت حروب الجهاد شاعرية كثير من الشعراء المغمورين ، الذين لم يعرف لهم شعر قبل اشتراكهم فيها ، فشاعت اشعارهم ، وذاعت بين الناس ، ومن هؤلاء على سبيل المثال : نافع بن الأسود بن قطبة التميمي ، وعمرو بن مالك الزهري ، والقعقاع بن عمرو التميمي ،والأعور الشني ، وكثير بن الغريزة النهشلي ، وزهير بن عبد شمس البجلي ، وحسان بن المنذر الضبي وغيرهم .**
* **أغراض شعر الفتوحات الاسلامية –**

**تقديم :**

**لقد خلفت الفتوحات الاسلامية ثروة شعرية في مختلف الأغراض الشعرية ، وهي – اي هذه الأغراض – تعد وثائق تأريخية ، ونفسية هامة في تاريخ الأدب العربي ، كونها تمثل مرحلة هامة من مراحله ابتعد عنها الدارسون وتجاوزوها لضعف لأسباب أشرنا اليها سابقا . ولكن مع هذا فإن الذي وصل إلينا من هذا الشعر أعطى صورة مشرقة ومشرفة لانطلاقة العربي من حيزه الضيق لأماكن بعيدة ، وأرجاء واسعة لم يعرفها من قبل**

**تنوعت الأغراض الشعرية في شعر الفتوحات الاسلامية ،ولعل من أبرز أغراض شعر الفتوح :**

**1 - شعر الوصف --**

**أ - وصف المعارك والبطولات :**

**لقد قدم الشاعر العربي صورا عديدة للفروسية العربية في اطارها الاسلامي ، فقد أشاد ببطولات المجاهدين خلال المعارك ، وما فيها من اقدام وبسالة ، وقد أبدع في وصف المعارك ، وكان حريصا على تتبع التفاصيل الدقيقة بدءا من بداية انطلاق الجند وتحديد زمان ومكان المعركة ، وعدة الحرب ، والاسلحة المستعملة ، ومعنويات الجند ، وقساوة المعارك وضراوة القتال ، وشدة اللقاء ، ولا يخلو ذلك من وصف معنويات الجند ووصف فرحة انتصارهم على العدو ، وهزيمة الاعداء وخيبة أملهم وتراجعهم في المعركة ، وهكذا فقد ابدع الشاعر في وصف كل ذلك باقتدار عال وقدرة على التصوير وكأنه يحاول رسم صورة كثيرة التفاصيل والالوان ، يعلو كل ذلك روح الحماسة والفخر بالجماعة الاسلامية ، أو بالنفس والغير . من ذلك قول خليد بن المنذر في معركة طاووس بأطراف فارس مشيدا ببلاء المسلمين ، وبسالتهم ، وايقاعهم بالعدو : \_ (44)**

**بطاووس ناهبنا الملوك وخيلنا عشية شهراك علون الرواسيا**

**أطاحت جموع الفرس من رأس حالق تراه كموار السحاب مناغيا**

**فلا يبعدن الله قوما تتابعوا فقد خضبوا يوم اللقاء العواليا**

**ويقول القعقاع بن عمرو في موقعة نهاوند بين المسلمين والفرس بقيادة الفيرزان مصورا بطولة جند المسلمين وتنكيلهم بالعدو : (45)**

**ونحن حبسنا في نهاوند خيلنا لشر ليال انتجت للأعاجم**

**ملأنا شعابا في نهاوند منهم رجالا وخيلا أضرمت بالضرائم**

**وراكضهن الفيرزان على الصفا فلم ينجه منها انفساح المحارم**

**وهذا الشماخ بن ضرار الذبياني وصف شجاعة قائد سريته بكير بن الشداخ في موقعة ( موقان ) بأذربيجان ، ولم ينس أن يفخر بنفسه وشجاعته : (46)**

**لقد غادرت خيل بموقان أسلمت بكير بني الشداخ فارس أطلال**

**فتى كان يروي سيفه وسنانه من العلق الآني لدى المجحر التالي**

**وقد علمت خيل بموقان أنني أنا الفارس الحامي لدى الموت نزال**

**وهذا زياد بن حنضلة يصف قتال المسلمين يوم اجنادين مع الروم ،ويصف هزيمة العدو وقائدهم الارطبون : (47)**

**ونحن تركنا أرطبون مطردا الى المسجد الأقصى وفيه حسور**

**عشية أجنادين لما تتابعوا وقامت عليهم بالعراء نسور**

**عطفنا له تحت العجاج بطعنة لها نشج نائي الشهيق غزير**

**فولت جموع الروم تتبع إثره تكاد من الذعر الشديد تطير**

**ب - وصف البلدان المفتوحة ( طبيعتها ، قلاعها ، مناظر جديدة فيها )**

**على الرغم من قلة التفات الشعراء الفاتحين الى وصف الطبيعة في البلدان والمناطق البعيدة التي كانوا يشاهدونها لأول مرة ، وذلك بسبب انشغالهم بالحروب ، وعدم توفر الوقت والفرصة المناسبة لذلك ، ولكن مع ذلك فهناك نماذج فريدة ألم الشعراء من خلالها إلماما سريعا ببعض مظاهر الطبيعة والحياة في هذه البيئات ، فوصفوا الحدائق والزهور ، ومناظر الثلوج وتساقطها على الارض ، ومناظر الفيلة ، والقلاع والحصون الشاهقة ، ويبدو أن ما جذبهم اليها جمالها وانعدام وجودها في الجزيرة العربية فهي من الجديد الذي لم يألفه العربي في أماكنه ولذلك أدهشته هذه المناظر فلم يمتلك الا وصفها حبا واعجابا بها ، ومن الجدير بالذكر ان مثل هذا الشعر كان وثائق الجغرافيين واصحاب المعاجم ، اذا كانت هذه الكتب مصدرا لهذا اللون من الشعر ، استشهدوا به لتوثيق معلوماتهم ، ورفع المصداقية فيها ولتجميل نصوصهم والتأثير على القارئ ، كل هذه اسباب دعتهم الى الاهتمام بهذا اللون من شعر الوصف . ومن نماذج هذا اللون من الوصف الطريف قول نافع بن الأسود التميمي يصف ريف الري وطيب عيشه ومباهجه فيقول : (48)**

**رضينا بريف الري والري بلدة لها زينة من عيشها المتواتر**

**لها نشز في كل آخر ليلة تذكر أعراس الملوك الأكابر**

**وهذا شاعر آخر يصف الشتاء في مدينة ( مرو ) بفارس ، وكثرة الثلوج المتساقطة ، ويشفق على أهلها شدة البرد ، ويصف ثيابهم بأنها غليظة ، يدسون أيديهم فيها فيبدون على هيئة أسرى طيلة الشتاء ، يقول : (49)**

**وأرى بمرو الشاهجان تنكرت أرض تتابع ثلجها المذرور**

**إذ لا ترى ذا بزة مشهورة إلا تخال كأنه مقرور**

**كلتا يديه لا تزايل ثوبه كل الشتاء كأنه مأسور**

**ومما وصفه الشعراء واعجبوا به الكنائس ، وهذا حارثة بن النمر الذي شهد اليرموك في بلاد الشام فوصف كنائس الروم في الشام وفلسطين ، قال : (50)**

**لله باليرموك قوم طحطحوا أحساب عاتي الروم بالأقدام**

**فتعطلت منهم كنائس زخرفت بالشام ذات فسافس ورخام**

**2 - شعر الحماسة والفخر :**

**وهما طابعان لاتخلو منها مقطوعة شعرية تقريبا ، ولاشك ان طابع الفخر الحماسي هنا يختلف عما كان عليه الشاعر الجاهلي في فخره، فالشاعر الجاهلي كان يفخر بانتمائه القبلي ، وما تتمثل فيها من عصبية الدم والنسب ، أما هنا فالأساس هو الانتماء الوجداني للجماعة الاسلامية ، والانطلاق من فكرة الجهاد في سبيل نصرة الدين لا نصرة القبيلة ، حتى وان لم يصرح الشاعر بها . وهذا عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وكان من أبطال الجاهلية وفرسانها ، أسلم ، وكانت له آثار مشهورة في القادسية ، واليرموك ، ونهاوند يفخر فخرا جماعيا بالجماعة المسلمة وبقومه بعد البلاء الحسن في القادسية ، ولا ينسى بطولة قائدهم يوم الجمع ، وكل ذلك يقوله بحماس رائع لا هم له الا الجهاد وطاعة الرحمن : (51)**

**والقادسية حين زاحم رستم كنا الحماة لهن كالأشطان**

**الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان**

**ومضى ربيع بالجنود مشرقا ينوي الجهاد وطاعة الرحمن**

**حتى استباح قرى السواد وفارس والسهل والأجبال من مكران**

**ويعمد شعراء الفتوح الى الفخر الشخصي ، فيعمدون الى التمدح ببطولاتهم واقدامهم ، وصولتهم على العدو ، ومن ذلك قول قيس بن مكشوح المرادي يصف قيادته الخيل من صنعاء الى القادسية ويفخر بأنه قتل ( رستم ) قائد الجيوش الفارسية ، يقول : (52)**

**جلبت الخيل من صنعاء تردي بكل مدجج كالليث سامي**

**الى وادي القرى فديار بكر الى اليرموك فالبلد الشآم**

**وجئن القادسية بعد شهر مسومة دوابرها دوامي**

**فناهضنا هناك جمع كسرى وأبناء المرازبة الكرام**

**فلما أن رأيت الخيل جالت قصدت لموقف الملك الهمام**

**فأضرب رأسه فهوى صريعا بسيف لا أفل ولا كهام**

**وقد أبلى الإله هناك خيرا وفعل الخير عند الله نامي**

**ويلاحظ ان الشاعر كانت يتكلم بضمير الأنا المفرد ، مما يشير الى فخره بنفسه ، ولكن بعمل في سبيل الاسلام وليس لمكسب شخصي وهذا جزء من شجاعة المقاتلين في سبيل الاسلام ، كما ويلاحظ وجود مسحة دينية ولكن خافته ضعيفة ، ولم يوفق الشاعر في إبراز الجانب الديني من الجهاد في سبيل الله إلا في البيت الأخير ، وبشكل عام وسريع ، بينما شغل عن المعاني الدينية بالفخر ووصف المعركة والحديث عن شجاعته .**

1. **- شعر الرثاء**

**أ - رثاء الشهداء**

**كان للفتوح والمعارك المواكبة لها في البلاد المفتوحة ضحايا كثر ، هم شهداء هذا الجهاد المقدس ، ولم يقصر الشعر في حق هؤلاء الشهداء فبكاهم ، ومجد بطولاتهم ، وأشاد بمواقفهم ، وعبر عن الأسى والحزن لفقدهم ، وهذا الرثاء الذي صاحب الفتوح يجري مع الرثاء الاسلامي الذي عرفناه في العهد النبوي مواكبا للصراع بين مكة والمدينة في فلك واحد ، فكلاهما يعبر عن حزن صابر محتسب ، مؤمن بقضاء الله وقدره ممتثل لإرادته، واثق بما وعد الله الشهداء من عظيم المنزلة والأجر ، ولذا لا نرى الجزع الذي نراه في الرثاء الجاهلي ، لثقة المسلمين بأن قتلاهم شهداء يحشرون مع الانبياء والصديقين من الذين أنعم الله عليهم ، فمن الرثاء الذي تتجلى فيه الروح الاسلامية ، قول الشاعر يرثي شهداء المسلمين في القادسية الين دفنوا الى جنب مشرق : (53)**

**جزى الله أقواما بجنب مشرق غداة دعا الرحمن من كان داعيا**

**جنانا من الفردوس والمنزل الذي يحل به الخير من كان باقيا**

**ويلاحظ التأثير القرآني في رثاء شهداء الفتوح الاسلامية ، من ذلك قول أبي عامر بن غيلان يرثي ولده الذي خرج غازيا ومات في طاعون عمواس ، والذي احتسب شهيدا عند الله : (54)**

**عيني تجود بدمعها الهتان سحا وتبكي فارس الفرسان**

**لو استطيع جعلت مني عامرا تحت الضلوع وكل حي فان**

**فهو يستوحي في البيت الثاني معنى الآية القرآنية قوله تعالى ( كل من عليها فان )**

**وليس من الضروري أن يصرح الشاعر في الرثاء بالتسليم لقضاء الله ، فقد لانجد هذه المعاني منصوصا عليها فيما يقول الشاعر ، ومع ذلك نحس بالروح الاسلامية تسري في هذا الرثاء . ولعل من أروع ما يصور هذا الاتجاه قول أبي ذؤيب الهذلي يرثي أبناءه الخمس الذين اشتركوا في فتوح مصر ثم ماتوا في طاعون انتشر بها ، يقول : (55)**

**أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع**

**قالت أميمة مالجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع**

**أما لجنبك لا يلائم مضجعا إلا أقض عليك ذاك المضجع**

**فأجبتها أن مالجسمي أنه أودى بني من البلاد وودعوا**

**أودى بني وأعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبرة لا تقلع**

**فغبرت بعدهم بعيش ناصب وإخال أني لاحق مستتبع**

**ولقد حرصت بأن أدافع عنهم فإذا المنية أقبلت لا تدفع**

**وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع**

**فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهي عور تدمع**

**حتى كأني للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تقرع**

**لابد من تلف مقيم فانتظر أبأرض قومك أم بأخرى المصرع**

**ولقد أرى أن البكاء سفاهة ولسوف يولع بالبكا من يفجع**

**وليأتين عليك يوم مرة يبكى عليك مقنعا لا تسمع**

**وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع**

**والنفس راغبة إذا رغبتها فإذا ترد الى قليل تقنع**

**كم من جميع الشمل ملتئم الهوى باتوا بعيش ناعم فتصدعوا**

**والدهر لا يبقى على حدثانه في رأس شاهقة أعز ممنع**

**والدهر لايبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع**

**قراءة في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي ( 56)**

**الشاعر :**

**أبو ذؤيب الهذلي : هو خويلد بن خالد بن محرث من قبيلة هذيل ، عاش في الجاهلية ، وأدرك الاسلام ، لكنه لم يلتق بالرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) في حياته ، فقد دخل المدينة المنورة يوم وفاة الرسول ، وشهد الصلاة عليه ، وشهد دفنه ، وله رثاء فيه شهد أبو ذؤيب كثير من غزواة المسلمين في زمن الصحابة ، توفي أبو ذؤيب في زمن الخليفة عثمان ( رضي الله عنه ) ، وقيل استشهد في أفريقيا في إحدى الغزوات هناك .**

**مناسبة القصيدة :**

**القصيدة قالها أبو ذؤيب الهذلي في رثاء أبنائه الخمسة الذين ماتوا في مرض الطاعون في عام واحد ، وهي مرثية حزينة ، كلها أسى ومرارة ، فيها حكمة ، وجوانب تفكير فلسفي ، وهي قصيدة طويلة بلغت تسع وستون بيتا ، ونحن سنقف على بعض أبياتها وهي التي شكلت جوهر القصيدة ، والغريب في هذه القصيدة أنها لاتحتوي على أثر اسلامي ، مما رجح البعض ان أبا ذؤيب قد يكون نظمها في الجاهلية .**

**شرح المفردات الواردة في نص القصيدة المدرج أعلاه :**

**المنون : جمع منية ، وهو الموت ، أميمة : زوجة الشاعر ، أودى : هلك**

**الرقاد : يريد الموت ، وهو في الأصل النوم ، غبرت : بمعنى مكثت ، ناصب : شاق ومتعب ، أخال : أظن ، ألفيت : وجدت ، حدقة العين : سوادها ، سملت : فقئت ، الحوادث : المصائب ، مروة : هي نوع من أنواع الحجارة البيضاء ، الصفا المشرق : اسم مكان ، أو هو حجارة صلبة ، تقرع : تضرب ، التلف : يريد هنا الهلاك والموت ، المصرع : الموت ، السفاهة : الجهل ضد الحلم ، يفجع : يصاب بمصاب أليم ، مقنع : أي مكفن ، ،أي ملفوف بكفن ، التجلد : اظهار الصبر ، التضعضع : الخضوع والذل ، والحدثان : بمعنى الحادثة ، السراة : بفتح السين : أعلى الظهر ، الجون : الأسود المائل الى الحمرة ، وأراد بجون السراة : حمار الوحش ، والجدائد : الأتن أي أناث حمر الوحش التي لا ألبان لها .**

**تحليل النص :**

**تعد عينية أبي ذؤيب الهذلي من عيون الشعر العربي ، وهي قصيدة أنشدها بعد أن هلك أبناؤه كما أشرنا في عام واحد .**

**القصيدة عبارة عن حديث عن ملحمة الموت عند شاعر فقد أعز من عنده ، فقد صور حياته وقد أذنت بالمغيب ، وهو في حالة استسلام ، ويأس وقلق ، فلم يعد يريد إلا الخلاص من ذلك السأم والخوف والضيق ، وهول ما رآه من قانون الموت ، وحتمية الفناء الذي يفرض نفسه من خلال كل الاشياء ليستجيب له كل الأحياء .**

**ويلاحظ في مقطع القصيدة الوارد أن الشاعر ينهج اسلوب الحكمة ، والتأمل من خلال لغة حوارية تتسم بالوضوح ، فقد كان في حوار واضح اختلقه وتخيله مع زوجته ( أميمة ) التي بدت تلومه ، وتقرعه عن إهماله ، وكثرة حزنه ، وهذا الحوار كشف عن اهمال الشاعر لنفسه بسبب الموت الذي تأمل فيه كثيرا ، وهذه القضية ( تأمل الموت ) تقض عليه مضجعه ، وما زال حزنه يمنعه من النوم ، فيظل منشغلا بالتفكير بالموت ، فهو يدرك أنه صائر الى فناء ، كما ذهب أبناؤه قبله ، ومن أجل ذلك فقد استعمل معجما لغويا دالا على الحزن ، والفناء ،والخوف ، وحتمية الموت : ( المنية ، الدهر ، الجزع ، الابتذال ، الدهر ، قض عليك المضجع ، أودى بني ، ودعوا ، حسرة ، عبرة ، تلف ، مصرع ، بكاء ، عيش ناصب ، العين سملت بشوك ، الحوادث ، تقرع ، يبلى ، تصدعوا ....) وهكذا نرى هذا الحشد والتكثيف اللفظي الذي يوحي بدلالة واحدة ، وهي حتمية الموت . لقد اتخذ الشاعر الجوانب البيانية لرسم صور تقرب المعنى وتزيد لوحاته جمالا ، ومما ظهر منها في النص : صورة المنية بشراستها وقسوتها ( واذا المنية أنشبت أظفارها .... ) كأنها حيوان تنشب أظافرها في البشر فقد شبهها بالحيوان المفترس ، واستعار لها أنياب لتحقيق تلك الشراسة ، وصور المنية مرة أخرى تصويرا تقريريا حينما صور عجز البشر أمام المنايا ( كم من جميع الشمل ملتئم الهوى ..... فتصدعوا) وقد صور عينيه وقد جافاها النوم بأن حدقاتها قد سملت بشوك ، فهي صورة توضح شدة معاناتها وحزنه ، ومن صوره الأخرى أنه صور الحوادث وشدة وقعها عليه وتكرارها في حياته كأنها حجارة تقرع بحجارة ( مروة تقرع بصفا مشرق كل يوم ) أما الموت فقد تعامل الشاعر معه بروح بطولية ، وحرص دائم على الحياة ، وتمسكه بمقوماتها ، ويتضح هذا من خلال قوله : ( ولقد حرصت بأن أدافع عنهم ..... ) وتظهر نزعة التحدي للموت واضحة ، ولكنه يدرك ان الموت هو النهاية الحقيقية ، ومع هذا لابد للإنسان أن يتسلح ويقاوم هذه النهاية المأساوية للحياة مع علمة بانتصار حتمية الموت على الحياة .**

**نظم الشاعر قصيدته على البحر الكامل ( متفاعلن متفاعلن متفاعلن ) وجاء هذا البحر منسجما مع غرض الرثاء ، وينسجم أيضا مع الحالة النفسية للشاعر ، أما القافية فقد جاءت على حرف العين المضمومة التي دلت على طول المعاناة ، كما التزم الشاعر بظاهرة التصريع ، وذلك في مطلع القصيدة ( تتوجع ، يجزع ) وكان لهذا وظيفة ايقاعية جمالية . أما الايقاع الداخلي فقد استعمل الشاعر التكرار وهذا مانلحظه في النص فقد كرر المفردات : ( المنية ، تتوجع ، الدهر ، الدمع ، البكاء ، الجسم ) وغيرها ، أما الجناس فقد ورد من خلال : ( أدافع ، تدفع ) ، ( البكاء ، باالبكا ) ، ( راغبة ، رغبتها ) ( فجع ، لمفجع ) ، ( قرع ، يقرع ) .**

**أما أزمان القصيدة فقد اتكأ الشاعر على الزمن الماضي كثيرا ، وأكثر من صيغ الماضي ليحكي وقائع تجربته المريرة كما عاشها ، وراح يبثها ، فهو يردد : ( أودى بني ، أعقبوني حسرة ، سبقوا هواي ، تحزموا ، أنشبت أظفارها .... )**

1. **رثاء الأعضاء المقطوعة :**

**لقد ظهر لون جديد من الرثاء في ظل التطور والتجديد الذي أصاب شعر الفتوح ، وهو لون لم يعرفه الشاعر العربي من قبل ، وهو رثاء الأعضاء المقطوعة في الحرب ، فقد راح بعض الشعراء المجاهدين يرثون أعضاء وأشلاء فقدوها خلال المعارك ، وفي هذا التجديد مايثير الاعجاب لما فيه من تجلد وصبر ، بل قد يفخر بعضهم بهذه الجراحات ، ويستهين بها ، لأنها في سبيل الله ، ويتمنى لو كان لحق بها ، وبذلك فهم يقدمون صورا طريفة من الرثاء ، من ذلك قول الشاعر عبد الله بن سبرة الحرشي يحتسب يده التي قطعت في المعركة ، ويشيد بما فعلته هذه اليد في سبيل نصرة الاسلام ، فهي التي أطاحت بأرطبون الروم في مبارزة معه يوم ( فلطاس ) يقول : (57)**

**ويل أم جار غداة الروع فارقني أهون علي به إذ بان فانقطعا**

**يمنى يدي غدت مني مفارقة لم أستطع يوم فلطاس لها تبعا**

**وما ضننت عليها أن أصاحبها ولقد حرصت على أن نستريح معا**

**وقائل غاب عن شأني وقائلة هلا اجتنبت عدو الله إذ صرعا**

**وكيف أتركه يسعى بمنصله نحوي وأعجز عنه بعد ما وقعا**

**ما كان ذاك الروع من خلقي ولو تقارب مني الموت فاكتنعا**

**وإن يكن أرطبون الروم قطعها فإن فيها بسعد الله منتفعا**

**بنانتين وجرموزا أقيم بها صدر القناة إذا ما آنسوا فزعا**

**لاحظ روعة الرثاء هنا ، فالشاعر يرثي يده بروح هادئة مؤمنه محتسبة ، ويتمنى لو انه لحق بها ، وفارق الحياة ، وانه لينكر على هؤلاء الذين لاموه على التعرض للفارسي الرومي ، وكان من الممكن ان يتجنب قطع يده ، ولكنه يرفض هذا اللوم ويرد عليه ، لأنه شجاع لا يهاب العدو ، وعلام اللوم وقد نال من خصمه ما ابتغى ، وتركه مقطع الأوصال ولم يفقد هو الا يده ، وقد لطف الله به اذ ترك له من هذه اليد مايمكنه استئناف الجهاد وحماية الاسلام .**

**رابعا – شعر الغربة والحنين**

**لما كانت الفتوحات قد انتزعت المجاهدين المسلمين من أوطانهم ، وباعدت بينهم وبين ذويهم وأحبابهم ، فإننا نجد شعرا غير قليل عبر فيه الشعراء المجاهدين عن حنينهم للأهل والأوطان والأحبة ، يتشوقون فيه الى مرابعهم الاولى ، ويحنون الى أهلهم الذين فارقوهم ، ويشكون البعد والاغتراب . إذن الفتوحات الاسلامية كانت عاملا مهما في انتعاش هذا الغرض إذ لا نستطيع ان نقول انه لم يكن موجودا ولم يعرفه العرب مسبقا ولكنه ينتعش ويزدهر ان تهيأت له الأسباب ، وخروج العرب المشاركين في الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية أحدث مايعرف بالغربة والاغتراب عن الاهل والاوطان لاسيما إن مكث طويلا . وهكذا عبر الشعراء عن شعورهم بشعر رقيق عذب يقطر حزنا وألما ، يفيض لوعة وأسى ويعبر عن عواطفة جياشة نلمس فيه لوعة المغتربين المفارقين لأهلهم وأوطانهم ، ولعل هذا الغرض يوازي لوعة الشاعر الجاهلي في وقفته على الاطلال الدارسة وتذكره للأهل والأحباب بلوعة وحزن عميقين ، وهذا أحد الشعراء يستبد به الحنين الى ديار الاهل في نجد فيتجه بنظره ناحيتها ، ومع أنه لايرى شيئا فإنه يتخيل خيامهما ومرابعها وترابها : (58)**

**أكرر طرفي نحو نجد وإنني برغمي وإن لم يدرك الطرف أنظر**

**حنينا الى أرض كأن ترابها إذا أمطرت عود ومسك وعنبر**

**بلاد كأن الأقحوان بروضه ونور الأقاحي وشي برد محبر**

**أحن الى أرض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر**

**وما نظري من نحو نجد بنافع أجل لا ولكني الى ذاك أنظر**

**أفي كل يوم نظرة ثم عبرة لعينك مجرى مائها يتحدر ؟**

**متى يستريح القلب إما مجاوز بحرب وإما نازح يتذكر ؟**

**ويتذكر شاعر آخر صاحبته بنجد ، فتهيج الذكرى دموعه وجدا على نجد ومن بنجد ويضيق بغربته بين أناس ليسوا من قومه ، ولا من عشيرته ، ولا من لسانه فيقول : (59)**

**أتبكي على نجد وريا ولن ترى بعينك ريا ماحييت ولانجدا**

**ولا مشرفا ما عشت أقفار وجرة ولا واطئا من تربهن ثرى جعدا**

**ولا واجدا ريح الخزامى تسوقها رياح الصبا تعلو دكادك أو وهدا**

**تبدلت من ريا وجارات بيتها قرى نبطيات يسمينني مردا**

**ألا أيها البرق الذي بات يرتقي ويجلو دجى الظلماء ذكرتني نجدا**

**وقال أحد الجند في الحنين الى الوطن والأهل : (60)**

**أمغتربا أصبحت في رامهرمز ألا كل كعبي هناك غريب**

**إذا راح ركب مصعدون فقلبه مع المصعدين الرائحين جنيب**

**ولا خير في الدنيا إذا لم تزر بها حبيبا ولم يطرب اليك حبيب**

**وهكذا فشعر الحنين هو باب رائع من أبواب الشعر الاسلامي الذي رافق الفتوحات ، فقد راج وازدهر في ظل حياة الفاتحين في بيئات جديدة عليهم ، يتميز بأنه شعر وجداني رقيق ، تتجسد فيه أعمق المشاعر وأرقها تتدفق بحرارة وصدق ، ولا يخلو هذا الشعر من نبرة حزن تؤطره لأنه يعبر عن لوعة الفراق عن الأهل والأحبة ، حتى أنه يتحول أحيانا الى رثاء للنفس أو الذات لاسيما إذا حانت منية أحدهم وهو في غربته .**

**السمات الفنية العامة لشعر الفتوحات –**

**1 - الايجاز والقصر فهو شعر مقطوعات شعرية قصيرة وقلما نجده يأتي على شكل قصائد طوال ، ذلك لأنه شعر حرب قيل في سوح المعارك ، وأجواء الحرب وظروف القتال لا تسمح بالاطالة**

1. **- سهولة اللغة ووضوحها وسلاستها ، فهو شعر سهل بسيط ليس فيه تعقيد ولا التواء وحين نقرأه لايبدو أننا نقرأ شعرا ينتمي الى القرن الأول الهجري الذي تميز بقدرة الشعراء وبيانهم وبلاغتهم ،**

**3 - انه شعر مطبوع اي غير متكلف ولا متصنع يقال ىدون تشذيب وتهذيب ومن هنا يكمن سر بساطته**

1. **وحدة الموضوع أو الفكرة ، ويبدو ان الايجاز والقصر كان عاملا في ذلك لان ذلك لم يتح للشاعر التعدد والاطالة**
2. **قلة أو انعدام التفنن ، أي قلة الجوانب البيانية والفنية من تشبيه واستعارة ومجازات ذلك لأنه شعر سريع آني مرتجل في معظم الاوقات غير متكلف لذلك عمد الشاعر الى التخفف من الجوانب البيانية الفنية فضلا أنه لم يكن بحاجة اليها وهو في ظروف الحرب والقتال .**
3. **صدق الاحساس والعاطفة والشعور ، فلا مجال في هذا الشعر الا للصدق ، فهو شاعر مجاهد صدق مع نفسه ومع ربه يجاهد في سبيل الله ويؤمن بما يفعل وما يقول**
4. **يغلب على هذا الشعر روح الحماسة والفخر ، فهو شديد الفخر بدينه وعقيدته وانتصاراته في سبيل الاسلام ونجد هذا الشعور يطغي على كل موضوعاته الشعرية**
5. **ان شعر الفتوح الاسلامية شعر جديد بمضامينه واغراضه وافكاره وأساليبه لانه نشأ على هامش حدث جديد ظهر بظهور الاسلام وهو الفتح الاسلامي والجهاد في سبيل الله .**
6. **ضعف اللمسة الدينية في شعر الفتوحات الى حد ما مع انها موجودة ولكن ليس بالشكل والكم المرجو في ذلك الشعر ، ومع كون هذه الحروب جهادا في سبيل الله ونشر دينه ، وقد حث الاسلام عليها ، وجعل الجنة جزاء لشهدائها ، ولكن الشعراء لا يعرضون لذكر ذلك الا ذكرا عارضا يتناثر هنا وهناك ، ويبدو ان سبب ذلك هو اندفاع الشعراء المسلمين الى الفتح متأثرين بفكرة الفتح لا الجهاد في سبيل الله اي انهم وقعوا تحت تأثير فعل الحرب والقتال والانتصار اكثر منة وقوعهم تحت تأثير فكرة الجهاد والمعاني الدينية المتولدة عنها ، لذلك قلما نجدهم يصرحون بفكرة الجهاد الديني مع انها كانت فكرة بارزة ، ولكنهم يصرحون ويكثرون من التغني بشجاعتهم وصدق لقائهم للعدو ، وقدرتهم على القتال .**
7. **كثرة النظم على بحر الرجز وذلك لمناسبة هذا البحر للسرعة والانفعال ومناسبتة لاجواء الحرب والقتال كما انه من الاوزان السهلة والسريعة التي جاءت مناسبة لشعراء الحرب وظروفهم الاستثنائية**
8. **اختلاط الموضوعات غالبا في القصيدة الواحدة وذلك لتدفق العاطفة على لسان الشاعر والتعبير عنها بصدق وعفوية دون تحديد .**

**الفصل الثالث**

**- الأغراض الشعرية في عصر صدر الاسلام**

**تقديم :**

**الشعر عملية فنية تقيدها حدود صارمة ولا يستطيع الشعراء التخلي عنها ، فقد كان لظهور الاسلام أثر في نفوس الشعراء ويبدو ذلك واضحا من خلال مانظموا من شعر يبدو فيه اثر الاسلام واضحا في معانيه واغراضه ولغته واساليبه وصوره ، ومع هذا فالاسلام لم يخلق طفرة في طبيعة الموضوعات الشعرية ، فقد بقيت الفنون الشعرية او الاغراض الشعرية محافظة على طبيعتها القديمة الموروثة ، والغالب ان الاشكال الشعرية لاتخضع للتغيير مثل المضامين والمعاني فهي ( اي المعاني والمضامين ) تتغير بيسر وسهولة وسرعة ، فهي تستجيب للتغييرات التي تلحق بالبيئة والمجتمع اكثر من الاشكال التي تظل اكثر ثباتا وإن خضعت للتغيير فيكون ذلك بطيئا ، وربما يختلف الشعر عن النثر في طبيعة استجابته وتأثره بالاسلام ، فالنثر في عصر صدر الاسلام كان أكثر تأثرا بروح الاسلام شكلا ومضمونا وذلك لأنه أقل التزاما من الشعر بالقيود والقوانين الفني ، وهذا ما سنأتي عليه لاحقا ،**

**ومع هذا فأننا نرى أن هناك نوعا من التجديد والتطور والنضج الفني رافق العملية الشعرية ، وكان من الطبيعي أن تحظى بعض الاغراض والفنون بالنصيب الاوفر من هذا التطور بينما فنون أخرى لم تعد تنسجم مع الوضع ، وعلى هذا الاساس يمكننا ونحن ندرس الاغراض الشعرية أن نصنفها الى أصناف ثلاثة وعلى النحو التالي :**

**أولا : أغراض شعرية جديدة**

**وهي الأغراض التي استجدت في هذا العصر ، أي انها نتاج البيئة الاسلامية والظروف الجديدة التي احدثها الاسلام ، وقد اطلعنا على قسم منها أثناء حديثنا عن أحوال الشعر في زمن الرسول والخلفاء الراشدين ، وسنطلع على البعض الاخر ، ويمكننا ان نجمل هذه الموضوعات بالاتي :**

**1- شعر المدرستين المكية والمدنية**

1. **شعر النقائض الاسلامية**
2. **شعر حروب الردة**
3. **شعر الفتوحات الاسلامية**
4. **الشعر الديني**

**ويلاحظ أننا تناولنا معظم هذه الاغراض الشعرية وسنقف هنا عند الشعر الديني فحسب .**

* **الشعر الديني**

**وهو من الأغراض الشعرية التي ظهرت بظهور الاسلام ، وتأثرت به وبمبادئه وألفاظه ، وتعاليمه ، حيث بدأ الشاعر يوظف معاني القرآن وألفاظه ، وقيم الاسلام ، وكل مايتعلق بالعبادات والجوانب الفقهية والتشريعية في ما ينظم من شعر ، فبدأ يتحدث عن القيامة ، اليوم الآخر ، الجنة والنار ، الثواب والعقاب ، خلق الانسان واطواره في الحياة ، خلق السماوات والارض ، وخلق الانعام والجبال ، وبر الوالدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومساعدة اليتيم ، وصلة الرحم ، فضلا عن الصلاة والصيام والزكاة والحج ، سيرة الرسول و معجزاته ، قصص الانبياء كما وردت في القرآن ، اذن الشعر الديني هو الشعر الذي حمل أو صور ملامح دينية اسلامية من خلال موضوعات متنوعة ، ويمكننا ان نفرز من الغرض الديني الموضوعات الدينية التالية**

* **الوعظ والارشاد الديني**
* **الحكم الاسلامية وضرب الامثال**
* **الزهد الاسلامي**
* **القيم الخلقية الاسلامية**
* **القصص الديني الاسلامي**

**نماذج من الشعر الديني :**

**قال النابغة الجعدي في الحكمة الاسلامية والوعظ : (1)**

**خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا**

**ولا تجزعا أن الحياة ذميمة فخفا لروعات الحوادث أو قرا**

**وإن جاء أمر لاتطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا**

**ألم تريا أن الملامة نفعها قليل إذا ماالشئ ولى وأدبرا**

**تهيج البكاءوالندامة ثم لا تغير شيئا غير ما كان قدرا**

**أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا**

**وقال صرمة بن أبي أنس الانصاري يوصي أبناءه بصلة الرحم واليتامى خيرا فيقول : (2)**

**يابني الأرحام لاتقطعوها وصلوها قصيرة من طوال**

**واتقوا الله في ضعاف اليتامى ربما يستحل غير الحلال**

**واعلموا أن لليتيم وليا عالما يهتدي بغير السؤال**

**وهذا كعب بن زهير يضمن شعره حكمة اسلامية إذ يقول : (3)**

**لوكنت أعجب من شيئ لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر**

**يسعى الفتى لأمور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر**

**والمرء ماعاش ممدود له أمل لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر**

**وهذا الشاعر عبدة بن الطبيب يقول في الارشاد والنصح والوعظ الديني : (4)**

**أوصيكم بتقى الاله فإنه يعطي الرغائب من يشاء ويمنع**

**وببر والدكم وطاعة أمره إن الأبر من البنين الأطوع**

**واعصوا الذي يزجي النمائم بينكم متنصحا ذاك السمام المنقع**

**يزجي عقاربه ليبعث بينكم حربا كما بعث العروق الاخدع**

**إن الكبير إذا عصاه أهله ضاقت يداه بأمره لا يصنع**

**ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم إن الضغائن للقرابة توضع**

**وهذا حسان بن ثابت يضمن شعره سيرة بعض الانبياء والرسل فيقول : (5)**

**شهدت بإذن الله أن محمدا رسول الذي فوق السماوات من عل**

**وأن أبا يحيى ويحيى كليهما له عمل في دينه متقبل**

**وأن التي بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فل من الخير معزل**

**وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل**

**وأن أخا الأحقاف إذ يعذلونه يقوم بدين الله فيهم فيعدل**

**وهذال النابغة الجعدي يضمن شعرة تطور خلق الانسان كما ورد في القرآن الكريم . يقول: (6)**

**الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما**

**المولج الليل في النهار وفي الليل نهارا يفرج الظلما**

**الخافض الرافع السماء على الأرض ولم يبن تحتها دعما**

**الخالق البارئ المصور في الارحام ماء حتى يصير دما**

**من نطفة قدها مقدرها يخلق منها الأبشار والنسما**

**ثم عظاما أقامها عصب ثمت لحما كساه فالتأما**

**ثم كسا الريش والعواتق أبشاراوجلدا تخاله أدما**

**والصوت واللون والمعايش والأخلاق شتى وفرق الكلما**

**ويلاحظ الطابع الديني واضحا في أبيات القصيدة ، فهو يذكر التوحيد ، والبعث والنشور ، والحساب ، والقضاء والقدر ، ثم يذكر خلق الانسان ، وابداع الخالق في ذلك ، كما ورد ذلك في القرآن مما يدل على تأثره به .**

**ومن أجمل ماورد في ديوان لبيد بن ربيعة العامري بعض ابتهالات دينية ضمنها أجود قصائده ، يقول : (7)**

**إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي وعجل**

**أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ماشاء فعل**

**من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل**

**فاكذب النفس اذا حدثتها إن صدق النفس يزري بالأمل**

**والمعاني واضحة ، فهو يدعو الى خير الاعمال وهي تقوى الله ، والاتكال عليه في كل الامور ، ويشكر الله لانه هداه الى عبادته ، فالخير كل الخير مهود لله لا لغيره، فهو الهادي لمن اراد ، والمضل لمن شاء .**

**ومما قال ابو الأسود الدؤلي في الزهد الاسلامي : (8)**

**وإذا طلبت من الحوائج حاجة فادع الاله وأحسن الاعمالا**

**فليعطينك ما أرد بفدرة فهو اللطيف لما أراد فعالا**

**إن العباد وشأنهم وأمورهم بيد الإله يقلب الأحوالا**

**فدع العباد ولا تكن بطلابهم لهجا تضعضع للعباد سؤالا**

**السمات العامة للشعر الديني –**

1. **أنه شعر مقطوعات قصيرة قلما تأتي طويلة**
2. **الشعر الديني شعر جديد وجد مع وجود الاسلام ولخدمته**
3. **السهولة والوضوح التي تصل حد اللين أحيانا ، ذلك لانه شعر ينادي بالقيم الخلقية الرفيعة ويدعو الى النصح والموعظة ونشر تعاليم الاسلام يتوجه به الشاعر الى كل الناس صغارهم وكبارهم عامتهم وخاصتهم جاهلهم وعالمهم ، فلابد ان يكون سهلا واضحا يدركه الجميع للوصول الى الهدف منه**
4. **خلو الشعر الديني من التفنن والصور البيانية لعدم حاجة الشاعر الى ذلك ، فالشاعر لديه رساله وهدف يريد ان يبلغه مباشرة دون قيود وعوائق**
5. **الصدق العاطفي واضح في هذا الشعر ، لأن الشاعر مؤمن ومقتنع بما يقول**
6. **نثرية الخطاب الشعري ، فالشاعر يكثر من أساليب الطلب التي تجعل اللغة أقرب الى النثرية منها الى الشعرية بحكم استعماله للنهي والامر والنفي والتعجب وكلها أساليب تقرب الشعر من النثر . فضلا عن وجود القصص القرآني وسير الانبياء**
7. **وحدة الموضوع**
8. **الطابع الاسلامي واضح في الشعر الديني وهذا أمر طبيعي لأن موضوعات الشاعر ومعانيه مستمدة من القرآن الكريم ، فضلا عن الالفاظ والتراكيب القرآنية والصور ، والاقتباسات والتضمينات القرآنية التي يقوم عليها هذا الشعر**

**ثانيا : أغراض شعرية قديمة تطورت في ظل الاسلام :**

**تقديم :**

**هناك أغراض شعرية تقليدية شائعة موجودة في كل عصر نظم الشعراء فيها منذ الجاهلية ، وهي أغراض الشعر العربي القديمة والمعروفة كالرثاء والهجاء والمديح والفخر وغيرها ، لقيت حضورا واضحا في عصر صدر الاسلام ولكن الشعراء أخضعوها لما يناسب الاسلام وقيمه واخلاقه وأساليبه ، لذلك فقد أصابها التغيير والتطور نوعا ما ، وعلينا أن لاننسى بأن شعراء هذه المرحلة اي مرحلة صدر الاسلام وقعوا تحت تأثير تيارين ثقافيين نهلوا منهما فبدت ثقافة الشعراء مزيجا بينهما ، 1لك لأن شعراء صدر الاسلام هم شعراء مخضرمون عاشوا جزءا من حياتهم في الجاهلية واخرى في الاسلام وقد عرفنا ان معظمهم كانوا من الشعراء الموهوبين اي نظموا شعرا في جاهليتهم وخضوا للقوانين القديمة في النظم ، فلما جاء الاسلام وظفوا شعرهم بما يخدم العقيدة الاسلامية الجديدة ، والمعروف أنه ليس من السهل ان يتخلص الشاعر من موروثه القديم فينظم جديدا خالصا ، ولكن جزءا من الموروث الجاهلي للشاعر انسحب عليه في حياته الجديدة فبدى التأثير واضحا لكلا التيارين على الشعراء بما لايدفع الى تأنيب الشاعر ولومه والانتقاص منه ، والتياران هما :**

1. **تيار ثقافي قديم جاهلي**
2. **تيار ثقافي جديد اسلامي**

**سنتناول هنا أبرز وأهم الأغراض التي حظيت بتواجد واضح ، وحقق الشعراء فيها نسبة من التطور والتجديد ، وسنضع أيدينا على ملامح التجديد الذي طرأ عليها في ظل الاسلام**

**1 – غرض الرثاء**

**مظاهر التجديد في غرض الرثاء**

**الرثاء أحد فنون الشعر القديمة التي عرفها العرب منذ العصر الجاهلي ، وهذا الفن الشعري يمثل غرضا أساسيا في القصيدة العربية القديمة ، وقد رأينا أن هناك شعراء تخصصوا بهذا الفن الشعري بما وصلنا عنهم من شعر ، ولعل الخنساء هي أبرز مثلا على ذلك ، وهناك قصائد أخرى وصلت قمة النضج الفني كقصيدة لبيد في رثاء أخيه أربد ، ومراثي الشعراء العرب قديما تدور ضمن أساليب عرفها الشعر العربي كالندب وهو ما شاع في غرض الرثاء الجاهلي وهو ما وجدنا عليه مراثي الخنساء لأخويها صخر ومعاوية ، والتأبين وهو الشائع منه ، ويقصد به تعداد مناقب الميت ، وهناك رثاء العزاء الذي لم يكن شائعا لانه يتطلب التريث والتأمل والاستنباط ، والرثاء في ظل الاسلام بدأ ينحو منحى جديدا مع ان الشاعر فيه ظل يخوض ضمن هذه الاساليب الثلاثة الشائعة في الرثاء وهي :**

**أ - رثاء الندب : ويراد به بكاء الميت بحرقة وألم ، واثارة مكامن الأحزان لدى الاخرين عليه ، وهذا اللون لا يتناسب تقريبا مع النهج الاسلامي ، ولم يجد أجواء مناسبة تشجع عليه**

**ب - رثاء التأبين : وهو تعداد المناقب الحسنة للميت والاشادة بها ، كالكرم والشجاعة والحلم والعلم والصبر وغيرها ، وهذا اللون من الرثاء يشبه المديح ، بل هو مديح الميت ، وهو أيسر أنواع الهجاء أسهلها على الشاعر .**

**ج - رثاء العزاء : وهو لون من الرثاء يقف الشاعر فيه متأملا متفكرا في حادثة الموت يستنبط منها العبر ويتأمل في الحياة والموت والفناء ، ويخرج بفلسفة خاصة ازاء هذا الحدث الكبير ، وهذا اللون من الرثاء قليل النظم عند الشعراء لم يتيسر للكثيرين فهو يحتاج ثقافة وعلم ودراية وحكمة .**

**أما الرثاء الاسلامي فقد ظل الشاعر فيه يخوض ضمن هذه الاساليب الثلاث مع وجود تطور واضح سوف نأتي عليه ، ولكن علينا وقبل أن نتعرف على التطور الذي اصاب هذا الغرض ( الرثاء ) في ظل الاسلام أن نبين بعض القيم والافكار التي كان لها أثر كبير على غرض الرثاء وشعرائه في ظل الاسلام منها :**

**أ - تشريع الجهاد فريضة واجبة على المسلم القادر وهو جزء متمم للإيمان يثاب عليها المجاهد .**

**ب - الايمان بقضاء الله وقدره ، فكرة تخفف كثيرا من ألم الموت ووقعه على الانسان**

**ج - الايمان بأن هناك حياة أخرى بعد الموت بعد ان كان المفهوم القديم انها حياة واحدة هي الحياة الدنيا**

**د - الايمان بالجنة والنار والحساب والثواب والعقاب ، وكلها مفاهيم اسلامية جديدة**

**ا ه - الشهادة قيمة عليا يثاب عليها صاحبها بأعلى جنان الفردوس .**

**و - التصبر وترك الجزع ، فأقصى مايقال عند الموت ( إنا لله وإنا اليه راجعون ) ، وكما في قوله نعالى : " والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون "**

**من خلال ذلك نعلم ان الشاعر الاسلامي أصبح يرثي وفقا للمبادى والقيم والافكار التي أرادها الاسلام وحث عليها والتي ذكرناها أعلاه ، ولا نريد ان نقول بأن الشاعر الاسلامي امتثل لتلك القيم والافكار وسار على الطريق الذي أراده الاسلام ، لا ... ولكنه قدر الامكان حاول، وقد اخفق احيانا ونجح أحيانا أخرى ، أما مظاهر التجديد في الرثاء فيمكننا اجمالها بالاتي :**

1. **كثرة هذا الغرض لاسيما رثاء الشهداء وذلك لكثرة الحروب وسقوط الشهداء فيها دفاعا عن الاسلام وتلبية لنداء الجهاد الذي شرعه الله للضرورة ، فكثرة من استشهد من المسلمين في المعارك كانت موضوعا خصبا للشعر العربي الذي وقفت طائفة كبيرة من الشعراء يصفون الشهادة بروح اسلامية ، وبمعايير فنية تجلى فيها الصدق الفني والعاطفي .**
2. **الطابع الاسلامي الواضح والذي ينم عن روح اسلامية من خلال كثرة ورود ألفاظ من القرآن الكريم ومعان وأفكار دارت حولها قصائد الرثاء الاسلامية ، وتعد هذه الظاهرة اول علامات التطور الذي طرأ على هذا اللون من الشعر**
3. **انحصر الرثاء على الشخصيات الاسلامية صاحبة القيادة والرأي، واولها شخصية الرسول والخلفاء الراشدين ، والشهداء ، وكان ذلك انطلاقا من اعجاب الشعراء بالاعمال الجليلة لهذه الشخصيات ولاسيما شخصية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، والشهداء الذين امتثلوا لامر الله وبذلوا ارواحهم رخيصة في سبيل الاسلام ورفعته وانتشاره**
4. **جمع الشعراء بين اساليب الرثاء كافة مع ترجيح احدها على الآخر ( ندب ، تأبين ، عزاء ) ويبدو ان أكثرها رواجا كان رثاء التأبين لسهولته وعدم تعارضه مع القيم الاسلامية أما الندب فكان لا يتناسب مع ىروح الاسلام ويتعارض مع المثل والافكار الاسلامية فنراه قليلا عند الشعراء ولكننا لانعدم هذا اللون من الرثاء احيانا، وغالبا ما يأتي ممزوجا مع رثاء التأبين ، أما العزاء فكان قليلا لأنه كما ذكرنا يحتاج الى تأمل وتفكير وتأن والشاعر انذاك ليس لديه مايتسع من الوقت لمثل هذا التأمل ، كذلك مثل هذا الرثاء يحتاج الى دراية وفلسفة وثقافة وتعمق في الفكر الاسلامي ولا نظن ان الشعراء في تلك المرحلة امتلكوا مثل هذا لانها مرحلة سريعة وقصيرة ومليئة بالاحداث الجليلة والعظيمة التي كانت اكبر من ادراك الفرد اوالشاعر واستيعابه**
5. **تأثر الشعراء بأسلوبين تجلت بوضوح في شعر الرثاء لديهم وهما :الاسلوب الجاهلي القديم المتمثل باللغة الصعبة الغريبة وندب الميت واثارة احزان السامعين ، والاسلوب الاسلامي المتأثر بالقرآن لفظا ومعنى .**

**نماذج لشعر الرثاء –**

**قال حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه ) رثاء جمع فيه بين الاسلوب الجاهلي القديم والاسلامي الجديد ، بين الندب والتأبين إذ يقول : (9)**

**دع عنك دارا قد عفى رسمها وابك على حمزة ذي النائل**

**مالشهيد بين أرحامكم شلت يدا وحشي من قاتل**

**أظلمت الأرض لفقدانه واسود نور القمر الناصل**

**صلى عليك الله في جنة عالية مكرمة الداخل**

**كنا نرى حمزة حرزا لنا من كل أمر نابنا نازل**

**ويقول ابو زبيد الطائي في رثاء الامام علي ( عليه السلام ) وهو من رثاء التأبين : (10)**

**إن الكرام على ما كان من خلق رهط امرئ خاره للدين مختار**

**طب بصير بأضغان الرجال ولم يعدل بحبر رسول الله أحبار**

**وقطرة قطرت إذ حان موعدها وكل شيئ له وقت ومقدار**

**حتى تنصلها في مسجد طهر علي إمام هدى إن معشر جاروا**

**حمت ليدخل جنات أبو حسن وأوجبت بعده للقاتل النار**

**وفي هذا الشعر من التأثر بالاسلام ، ومن القدرة الفنية ما لا يخفى ، ومما قال حسان بن ثابت في رثاء المصطفى ( صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ) : (11)**

**لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة عشية علوه الثرى لا يوسد**

**وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد**

**يبكون من تبكي السماوات يومه ومن قد بكته الارض فالناس أكمد**

**يدل على الرحمن من يقتدي به وينقذ من هول الخزايا ويرشد**

**إمام لهم يهديهم الحق جاهدا معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا**

**عفو عن الزلات يقبل عذرهم وإن يحسنوا فالله بالخير أجود**

**ويلاحظ الروح الاسلامية في رثاء حسان للنبي واضحة جدا ، وهو من نوع التأبين الذي جمع فيه حسان خصال المصطفى ومناقبه ، ولا يخلو الرثاء من بكاء وندب ، وهذه من روائع حسان التي اجتمعت فيها الملامح الفنية والاسلوب الجزل القوي**

**ومما قيل في رثاء الشهداء ، قال كثير بن الغريزة النهشلي يرثي شهداء معركة الطالقان : (12)**

**سقى مزن السحاب اذا استهات مصارع فتية بالجوزجان**

**وما بي أكون جزعت إلا حنين القلب للبرق اليماني**

**ورب أخ أصاب الموت قبلي بكيت ولو نعيت له بكاني**

**دعاني دعوة والخيل تردي فما أدري أبأسمي أم كناني**

**فكان إجابتي إياه أني عطفت عليه خوار العنان**

**وأي فتى دعوت وقد تولت بهن الخيل ذات العنفوان**

**وأي فتى إذا ما مت تدعو يطرف عنك غاشية السنان**

**فإن أهلك فلم أك ذا صدوف عن الأقران في الحرب العوان**

**2 – غرض الهجاء**

**مظاهر التجديد في غرض الهجاء**

**تقديم :**

**الهجاء من الأغراض الشعرية الرئيسية في القصيدة العربية القديمة ، وهو غرض واسع الانتشار ، يزدهر حيث تزدهر الصراعات والخصومات بأنواعها ، القبلية والسياسية والشخصية ، وقد ازدهرت هذه الصراعات في المجتمع القبلي الجاهلي فكانت هذه الظروف ظروفا مثالية لازدهار فن الهجاء وقد حظي هذا الفن بتطور ونضج كبيرين في عصر صدر الاسلام لتواجد الظروف المناسبة لازدهاره ، وقد اطلعنا على جملة من الصراعات التي رافقت ظهور الاسلام ابتداء بالصراع بين الكفر والايمان في مكة ، ثم صراع المسلمين مع المرتدين ، وبعد ذلك حروب الفتح الاسلامي ، واخيرا الفتن والاضطرابات السياسية والفكرية التي حدثت في نهاية العصر , لقد أضاف الشعراء المسلمون لهذا الغرض مايوحي بالتجديد والتطور وقد مر بنا المناقضات الشعرية الهجائية بين شعراء الاسلام وشعراء الكفر من قريش وهي جانب من الهجاء القائم على الخلاف العقائدي ، ويعد مثل هذا الهجاء ( النقائض الهجائية ) تجديدا وتطورا للهجاء الجاهلي إذ اختلف معه في الغاية والسبب والاسلوب ، ويمكن الرجوع الى ذلك المبحث ،**

**ويمكن ان نعد الشعر الذي يقوم على المناقشة والحوار والمناظرة والذي بعرف (بالمناقضات السياسية ) لونا من التجديد في غرض الهجاء في العصر الاسلامي ، وهو من الانماط الجديدة التي تطورت عبر قصيدة الهجاء العربية**

**لقد تطور غرض الهجاء في نهاية العصر الاسلامي فأصبح أشبه بالمناظرات العقلية والاحتجاجات ضد الخصوم وعرض الحجج وتفنيدها والرد عليها حتى أصبح الهجاء ذات لمحة سياسية ، واصبح شعر الهجاء يعبر عن التأزم السياسي الفكري العقائدي في ذلك العصر ، ولعل خير مثال مادار بين الشاعرين كعب بن جعيل الذي عبر عن انتمائه السياسي من خلال هجائه لخصومه إذ يقول : (13)**

**أرى الشام تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهونا**

**فقالوا علي إمام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا**

**فرد عليه قيس بن عمر النجاشي مناقضا ومظهرا انتمائه قائلا : (14)**

**دعانا معاوية ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا**

**أتاكم علي بأهل العراق وأعل الحجاز فما تصنعونا**

**وقد تميز الهجاء في العصر الاسلامي - وهو مما يعد تطورا في هذا الغرض- بعمق الافكار وخصوبتها ودقتها ، وهذه السمات نلمحها في عدد غير قليل من القصائد السياسية التي تعبر عن الاحداث ، وتعتبر نموذج متطور لشعر الهجاء ، وبعد أن أصبح الشعر أداة للتعبير عن الاحداث ، وأداة اعلامية لنشر الدعوة الاسلامية كان طبيعيا أن يخوض الشعر في السياسة فيعلن ولاءه لطائفة ، ومعارضة أخرى ، وهذا الموقف تجلى في المعركة اللسانية التي دارت بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم ) والمشركين ، وتطور هذا الشعر بعد وفاة الرسول ، واجتماع المسلمين في سقيفة بني ساعدة ، وتطور أكثر بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان والفتنة التي حدثت بعد مقتله ، وما قيل من شعر آنذاك يعد اكثر جرأة وخطورة للتعبير عن انقسام المسلمين ، وهو ما اباح به شعراء الهجاء آنذاك .**

**ويمكن ان نعد استخدام الشاعر الاسلامي ثقافتين متناقضتين لونا من التجديد في قصيدة الهجاء فقد سبق وذكرنا ان الشاعر الاسلامي وقع تحت تأثير التيار الجاهلي القديم ، والتيار الاسلامي الجديد ، ولذلك نراه يمزج بين اسلوبين في قصيدة هجائية واحدة أحيانا وقد يتفرد بأحد الاسلوبين . ولعل حسان بن ثابت كان أجرأ الشعراء الهجائين إذ استخدم اسلوبا جاهليا في هجائه لأبي سفيان بن الحارث أحد شعراء كفار قريش يقول في ذلك : (15)**

**لقد علم الأقوام أن ابن هاشم هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد**

**ومالك فيهم محتد يعرفونه فدونك فالصق مثلما لصق القرد**

**وأن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد**

**وما ولدت أفناء زهرة منكم كريما ولم يقرب عجائزك المجد**

**ولست كعباس ولا كابن أمه ولكن هجين ليس يورى له زند**

**وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد**

**ومما قيل في الهجاء القائم على معان اسلامية جديدة هجاء كعب بن مالك لقريش حين كانت الحرب سجال بين الطرفين : (16)**

**أبلغ قريشا وخير القول أصدقه والصدق عند ذوي الألباب مقبول**

**أن قد قتلنا بقتلانا سراتكم أهل اللواء ففيما يكثر القيل**

**ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريل**

**إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل**

**وإن تروا أمرنا في رأيكم سفها فرأي من خالف الاسلام تضليل**

**وله أيضا شعر قاله يوم بدر يصدر عن روح اسلامية منه قوله : (17)**

**لعمرو أبيكما يابني لؤي على زهو لديكم وانتخاء**

**لما حامت فوارسكم ببدر ولا صبروا به عند اللقاء**

**وردناه بنور الله يجلو دجى الظلماء عنا والغطاء**

**رسول الله يقدمنا بأمر وأمر الله أحكم بالقضاء**

**فما ظفرت فوارسكم ببدر وما رجعوا اليكم بالسواء**

**فلا تعجل أبا سفيان وارقب جياد الخيل تطلع من كداء**

**بنصر الله روح القدس فيها وميكال فيا طيب الملاء**

**ويلاحظ أن كعبا في هجائه استمسك برأي راجح وعقيدة ثابته في جداله للمشركين ، فالهجاء جديد قائم على معان اسلامية ، فهو يقول أن ديننا هو دين الحق ، ونحن إن قتلنا في الله فهذه غاية نتمناها ، وإن كنتم قد سفهتم رأينا ، فإن السفيه الضال من خالف الاسلام ، وخرج عليه . وبالتأكيد فإن مثل هذا الهجاء القائم على معان اسلامية ما كان ليبلغ الهدف مع المشركين وما كان ليؤثر فيهم ولا يؤذيهم لأنهم على الكفر وكانوا يفخرون بذلك ، ولهذا فإن هجاء كعب لهم كان هينا لايضرهم بشيئ ، أما الهجاء ذات الوقع الصاعق فهو هجاء حسان لأنه اختار معان واساليب جاهلية تناسبهم وتنال منهم ولذلك قال الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) عن شعره فيهم ( أن قول حسان كان أشد عليهم من وقع النبل ) وقد صدق الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) .**

**3 - غرض المديح**

**مظاهر التجديد في غرض المديح**

**من الموضوعات الشعرية القديمة ، وهو غرض رئيس في القصيدة القديمة لاتصاله بالحياة القبلية ، يدافع الشاعر فيه عن قبيلته ويمدح ساداتها وفرسانها ، يقوم المديح عادة وفي بداية نهجه على اعجاب الشاعر بشخصية الممدوح ، والتأثر بفضائله ومآثره واعترافا بجميل قام به الممدوح لم يستطع الشاعر اداء حقة الا بالشعر ، مثال ذلك مدح امرئ القيس بني تميم لما أجاروه ، ومدح زهير بن أبي سلمى لهرم بن سنان والحارث بن عوف في حسم النزاع بين قبيلتي عبس وذبيان ، ولكن المدح لا يتوقف عند الاعجاب بشخصية الممدوح ، بل يخضع لبواعث أخرى كالرغبة في مال أو جاه ، والرهبة من نقمة ، كمدح النابغة الذبياني لملوك الحيرة والغساسنة ، وهذا مايعرف بالمديح التكسبي الذي شاع في نهاية العصرالجاهلي فوصل الى مراتب دنيا ، ومثل ذلك مديح الاعشى والحطيئة الذي اصبح لديهما تجارة رائجة .**

**استمر غرض المديح في العصر الاسلامي ولم يضعف بل ارتقى بفضل الاسلام فأصابه ما أصابه من التجديد ، إذ صدقت نوايا الشاعر المادح ، واصبح المديح وسيلة لتمجيد الاخلاق العليا والمثل القويمة التي يرتضيها المجتمع ، لقد استمر المديح في صدر الاسلام خارجا عن نطاق المديح الشخصي أو التكسبي الى المديح الذي يجعل من الممدوح اطارا لقضية عامة ، ودعوة لقيم خلقية أقرها الاسلام ، وأ كدها الشاعر من خلال شخصية الممدوح ، ويدخل في هذا الاطار كل الشعر الذي قيل في مديح شخصية الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وصحابته الكرام ، ومن هنا يمكننا أن نرصد أهم**

**ملامح التجديد في غرض المديح وهي :**

* **التزام شعراء المديح في هذا العصر بالتوجيه العام الذي وجه الاسلام الشعر والشعراء فيه الى نشر القيم الخلقية ، وتقويم الاخلاق وتهذيب النفوس ، ونشر الفضيلة ، فالمديح أوسع الاغراض الشعرية وأصلحها لذلك الغرض النبيل ، وما مدائح الشعراء للرسول الا نماذج جيدة لهذه الغاية النبيلة ، وهذا عبد الله بن رواحة يمدح الرسول لشخصه ، ونبوته ، وشفاعته، فهو صاحب الشفاعة يوم القيامة ، وأن من يحرم شفاعته تسوء عاقبته ، ويدعو له ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بالنصر والتأييد ، في ذات الوقت يشير الى مكانته ونبوته ويؤكد رسالته السماوية التي بعث لنشرها بين الناس ، يقول : (18)**

**أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر**

**فثبت الله ما أعطاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا**

* **اختفاء المديح التكسبي وموته في ظل الاسلام لأختفاء مبرراته ودوافعه ، ونحن نعرف ان شعر التكسب يقال للرغبة اي دافعه مادي ، يقوله الشاعر زورا وبهتانا وتملقا وطمعا في الممدوح ولذلك كان الشاعر يبالغ ويدعي ويرفع الممدوح درجات ويضفي عليه صفات ليست فيه ، وبذلك ينطبق عليهم وصف القرآن الكريم ( يقولون ما لا يفعلون ) ، وكل هذا حاربه الاسلام وحرمه ، لذلك فلم يعرف هذا العصر الا المديح الصادق الذي يكون دافع الشاعر فيه الحب الصادق والاعجاب الحقيقي بشخصية الممدوح ، وغالبا ماتكون شخصية الرسول أو أحد أصحابه ، ومثل هذا المديح يطالعنا في قصيدة كعب بن مالك الذي يشير فيها أنه عليه الصلاة والسلام مؤيد من الله تعالى بالمعجزات ، إذ يشير الى معجزة الاسراء ، وتسبيح الحصى بين يديه : (19)**

**فإن يك موسى كلم الله جهرة على جبل الطور المنيف المعظم**

**فقد كلم الله النبي محمدا على الموضع الأعلى الرفيع المسوم**

**وإن تك نمل البر بالوهم كلمت سليمان ذا الملك الذي ليس بالعمي**

**فهذا نبي الله أحمد سبحت صغار الحصى في كفه بالترنم**

**ويلاحظ اقتباس الشاعر من القرآن الكريم اقتباسا معنويا ، أو أشاريا ، فقد ألمح في البيت الأول الى الآية القرآنية من سورة النساء أية : 164 قوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليما " ، وفي االبيت الثالث اشارة الى قوله تعالى في سورة النمل ، الآية : 18 : " حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون " ، وفي البيت الأخير ذكر خبر تسبيح الحصى في يد الرسول عليه الصلاة والسلام .**

* **ظهور فن البديعيات وهو مصطلح أدبي يطلق على مجموعة من القصائد التي قيلت في مديح الرسول والاعتذار منه ، وهي قصائد قالها المخضرمون ، سميت بالبديعيات لجمالها وبديع اسلوبها ، والبديعيات ليس غاية الشاعر منها التقرب الى الرسول ، أو مدحه مدحا زائفا لغرض تكسبي ، ولكنه مدحا خالصا صادقا يخلو من أي شائبة دافعه الاعجاب بشخص الرسول ، وقد تحول هذا الضرب من المدائح الى ابتهالات دينية نبوية مازالت تردد في المناسبات الدينية ، وتتميز البديعيات بجمال لغتها وسهولتها وخلوها من الغريب والحوشي ، وخلوها من الثقل والتعقيد . ومن نماذج ذلك قول حسان بن ثابت : (20)**

**أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد**

**وضم الاله اسم النبي الى اسمه إذ قال في الخمس المؤذن أشهد**

**وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد**

**نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الارض تعبد**

**فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند**

**وأنذرنا نارا وبشر جنة وعلمنا الاسلام فالله نحمد**

**ويدخل في البديعيات ما قيل في الاعتذر من الرسول أو مايعرف (بالاعتذاريات) ولعل أروع اعتذارية هي قصيدة كعب بن زهير الذي قالها في مدح الرسول والاعتذار منه وكان الرسول قد أهدر دمه بعد أن قال شعرا يسيئ الى الرسول وأصحابه ، ومنها قوله : (21)**

**أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول**

**مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيها مواعيظ وتفصيل**

**لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت في الأقاويل**

**إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول**

**ومثل هذه القصائد ماقاله المشركون الذين أسلموا يوم الفتح فقالوا شعرا يعتذرون به من الرسول ،ومن ذلك قول عبد الله بن الزبعرى : (22)**

**منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم**

**مما أتاني أن أحمد لامني منه فبت كأنني محموم**

**ياخير من حملت على أوصالها عيرانة سرح االيدين غشوم**

**إني لمعتذر اليك من التي أسديت إذ أنا في الظلام أهيم**

**فاغفر فدا لك والداي كلاهما ذنبي فإنك راحم مرحوم**

**وعليك من أثر المليك علامة نور أضاء وخاتم مختوم**

**مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلوم**

**4 - غرض الفخر**

**مظاهر التجديد في غرض الفخر**

**الفخر من اغراض الشعر الملازمة للحماسة ووصف الحرب والهجاء ، وهو من الاغراض التي تدور في فلك القبيلة من مديح وهجاء ، والفخر في الجاهلية قام على اسس ثابتة ومعروفة ، كالفخر بالانساب والاحساب وبكثرة الاولاد والاموال ، وبمكارم الاخلاق كالشجاعة والكرم وغيرها وحين جاء الاسلام استمر الشعراء يفخرون ولكن وفق أسس جديدة أوجدها الاسلام في حياة المسلمين ، وقد اتجه الفخر عند شعراء صدر الاسلام اتجاهين :**

**أولهما : اتجاه تشرب بروح الاسلام ( اتجاه اسلامي ) وترك وراءه الولاء القبلي ، فلم يعد الشاعر يفخر بالعصبية القبلية ، ولا التفاخر بالانساب ، والاولاد والعدة والعدد ، والمال والجاه والثروة ، بل ركز على معان جديدة للفخر تتمثل في :**

* **الفخر بالجهاد والشهادة ، وانتصار المسلمين في حربهم مع الكفار ، وقوتهم**
* **الفخر بالاسلام وتعاليمه وبالرسول ومعجزاته وخلقه ، والقرآن الكريم والقيم العظيمة الواردة فيه**
* **الفخر بإيمان الانسان بالاسلام وتصديقه للوحي وعمله بالشريعة المنزلة ، والالتزام بالعبادات ، ولعل مثال ذلك قول كعب بن مالك يشيد بصبر المسلمين عند لقاء الكفار ويفخر برسول الله وطاعتهم له : (23)**

**نجالد لا تبقى علينا قبيلة من الناس إلا أن يهابوا ويفزعوا**

**وفينا رسول الله نتبع أمره إذ قال فينا القول لا نتطلع**

**تدلي عليه الروح من عند ربه ينزل من جو السماء ويرفع**

**وقال رسول الله لما بدوا لنا ذروا عنكم هول المنايا واطمعوا**

**وكونوا كمن يشري الحياة تقربا الى ملك يحيا لديه ويرجع**

**وهذا عبد الله بن رواحة يفخر فخرا اسلاميا بهيبة الاسلام ، وحضور الرسول بينهم ، وبفضل بني هاشم رهط الرسول على العباد ، يقول : (24)**

**نجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور**

**وقد علمتم بأنا ليس غالبنا حي من الناس إن عزوا إن كثروا**

**ياهاشم الخير إن الله فضلكم على البرية فضلا ماله غير**

**ثانيهما : الفخر بالقيم العربية الجاهلية التي أبقى عليها الاسلام ، والتي جاء الرسول متمما لها ( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) مثل اكرام الضيف ، العفة والشجاعة وغيرها ، وهذا الفخر تقليدي لا يتنافى مع تعاليم الاسلام ، بل ان الاسلام أقر هذه القيم الخلقية وأكد عليها ، ومثل هذا الفخر نراه مبثوثا في أغراض الشعر الاخرى كالمديح والرثاء ووصف الحرب والقتال .**

**وهناك لون آخر من الفخر كان الى جانب الفخر الاسلامي الجديد ، وهو الفخر بأسلوب جاهلي ، وكما ذكرنا أن تأثر الشعراء بالموروث الثقافي الجاهلي الذي انسحب على شعرهم الاسلامي فبدت الاغراض الشعرية متأثرة به كما وجدنا ذلك في الرثاء والهجاء وفي الفخر أيضا ، فقد فخر الشعراء بأنفسهم وبأقوامهم وقبائلهم ، وبأحسابهم وأنسابهم ، ومفاخرهم الجاهلية بما فيها الآباء والاجداد ، ففخر الشعراء المسلمين يمثل جانبين**

* **جانب ديني يعتز بالاسلام وبرسول الله وجنوده وجهاده ، وفيه يظهر التأثر بالاسلام والقرآن واضحا .**
* **جانب شخصي ذاتي يفخر بالنفس والمال والعشيرة ، وهذا اللون جاهلي شكلا ومضمونا . ومثاله قول حسان بن ثابت يفخر ويشمت بقتل عمرو بن ود فارس قريش يوم الخندق ، وقد قتل بسيف الامام علي ( عليه السلام ) : (25)**

**بقيتكم عمرو أبحناه للقنا بيثرب تحمي والحماة قليل**

**ونحن قتلناكم بكل مهند ونحن ولاة الحرب حين نصول**

**ونحن قتلناكم ببدر فأصبحت معاشركم في الهالكين تجول**

**فهذا الفخر لو لم ترد فيه لفظة ( بدر ) لظنناه فخرا لشاعر جاهلي بوقائع جاهلية .**

**ثالثا- أغراض شعرية ضعفت وماتت في الاسلام ، ومنها**

1. **- الغزل**
2. **- وصف الخمرة**
3. **-المديح التكسبي**

**ويلاحظ ان هذه الاغراض لم تعد تنسجم مع واقع الحال الجديد ، ولم تخدم الاسلام في شيئ ، كما انها تتنافى مع تعاليم الاسلام وقيمه التي حثت على التقوة ، ومكارم الاخلاق ، والابتعاد عن الكذب ، وصيانة المرأة ، والبعد عن الفحش والتبذل الاخلاقي .**

**أولا : الغزل**

**أما التغزل بالنساء ، والتودد إليهن بالشعر المكشوف ، وبأسلوب يزري بهن ، ويقلل من قيمتهن ، ويجعل منهن وسيلة للمتعة ، وإثارة الشهوة ، فقد نهى عنه الاسلام ولم يشجع عليه ، لأنه أراد بناء مجتمع لا يشغله القول الرقيق والفعل الشائن ، كما أن الاسلام كرم المرأة وجعل لها شأنا كبيرا وصانها من التبذل والهوان ولم يشأ أن يجعلها وسيلة لللهو والمتعة وإثارة الشهوات كما كانت أيام جاهليتها ولهذا لم يعد الغزل مناسبا لها ولا لمجتمع يقوم على الخلق الرصين ، لذلك ابتعد الشعراء عن الخوض في ذلك ، ومن فعل منهم ذلك فهو قد سلك أحد مسلكين ، أو طريقا من طريقين ، هما :**

1. **الغزل التقليدي في مطالع القصائد لا يؤاخذ عليه الشاعر لأنه لايراد منه التغزل الحقيقي ، ولم يتولد عن علاقات حقيقية مع النساء ، إنما كان مجرد وسيلة لغاية وهي الغرض الاصلي في القصيدة كالمديح أو الهجاء أو الفخر والوصف وغيره**

**وقد وجدنا هذا النمط من الغزل عند شعراء صدر الاسلام الكبار كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهم ، وهذا حسان بن ثابت يقول في مقدمة قصيدته في هجاء ابي سفيان بن الحارث متغزلا غزلا حسيا : ( 26)**

**عفت ذات الأصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء**

**ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء**

**وكانت لايزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء**

**فدع هذا ولكن من لطيف يؤرقني اذا ذهب العشاء**

**لشعثاء التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء**

**كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء**

**وكقول كعب بن زهير في مطلع بردته الشهيرة : (27)**

**بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول**

**وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول**

1. **الغزل الرمزي ، فقد يعمد الشاعر الى التخفي وراء قناع معين للهروب من عقاب السلطة الدينية كالتغزل بشجرة أو نخلة أو حمامة ، في حالة أراد التغزل بأمرأة فهو يتخفى بهذه الاقنعة ويضفي عليها صفات المرأة التي احبها خوفا ممن حوله كقول حميد بن ثور الهلالي يتغزل بالسرحة أو الشجرة : (28)**

**أبى الله إلا سرحة مالك على كل أفنان العضاة تروق**

**فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيئ من برد العشي تذوق**

**فهل أنا إن عللت نفسي بسرحة من السرح مسدود الي طريق**

**فيا طيب رياها ويابرد ظلها إذا حان من شمس النهار ودوق**

**وتوحي بعض النصوص بدلالة الغزل في وصف الحمامة ، وكأنها أمرأة جميلة يتأملها الشاعر، ويصف مفاتنها كحبيبة ، وطالما كانت الحمامة عند الشعراء رمزا للحنين والشوق والغربة ، والمرأة الحبيبة . يقول ناقد بن عطارد العبشمي : (29)**

**كأن بنحرها والجيد منها إذا ما أمكنت للناظرينا**

**مخطا كان من قلم لطيف فخط بجيدها والنحر نونا**

**وقال أحد الأعراب متغزلا بقمرية ، وهي الحمامة أو الحبيبة ، يقول : ( 30)**

**ألا هل الى قمرية في حمائم بنخلة أو بالمرجتين سبيل**

**فتلبسني قمرية من جناحها وذلك نيل للمحب قليل**

**مطوقة طوقا ترى لفصوصه روائع ياقوت لهن فصول**

**ثانيا - وصف الخمرة**

**الاسلام للخمرة ومنع تعاطيها ، وعقوبة شاربها ، لذلك امتنع الشعراء من الخوض فيها وذكرها ، ومع هذا فهناك من وصفها وجاهر في شربها تمردا على تعاليم الاسلام ، مع اعترافه الصريح بحرمتها في الاسلام ، ويبدو أنه من الصعب على شاعر كان يشرب الخمرة طيلة حياته في الجاهلية فتمنع عنه في الاسلام ، ولذلك فقد عوقب هذا الشاعر وسجن لمرات من أجل ذلك ، وهكذا فمثل هؤلاء الشعراء أوقعهم الاسلام في حرج بين مايدعوا اليه وما تعودوا هم عليه، وتأصل في خلقهم وسلوكهم وفنهم أيضا . وفي ذلك يقول أبو محجن الثقفي : (31)**

**إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت وحال من دونها الاسلام والحرج**

**فقد أباكرها صرفا وأمزجها ريا وأطرب أحيانا وأمتزج**

**وقد تقوم على رأسي منعمة فيها إذا رفعت من صوتها غنج**

**ومما قاله في الخمرة أيضا : (32)**

**ألا اسقني يا صاح خمرا فأنني بما أنزل الرحمن في الخمر عالم**

**وجد لي بها صرفا لأزداد مأثما ففي شربها صرفا تتم المآثم**

**وهكذا نال هذا الشاعر عقوبته بالسجن تارة والجلد أخرى ، وبحرق حانات الخمر في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، وأقامة الحد على الخمارين مرات كثيرة أما ابو محجن فقد تاب عن شربها توبة نصوحا وقال في ذلك : (33)**

**أتوب الى الله الرحيم فإنه غفور لذنب المرء مالم يعاود**

**ولست الى الصهباء يوما بعائد ولا تابع قول السفيه المعاند**

**ثالثا - المديح التكسبي**

**وهذا اللون من المديح ارتبط بالكسب المادي فهو يقوم على المبالغة والكذب والادعاء واضفاء الصفات الحسنة المبالغ فيها على شخص لا يستحقها وليست فيه من أجل الكسب المادي لا أكثر ، ومثل هذا المدح يدخل في باب المعاصي والتحريم والمنكر، لذلك منعه الاسلام وحذر الشعراء منه فلا نجد لمثل هذا اللون من المدح وجودا في الاسلام ، فالمديح الاسلامي قد انحصر في شخصيات محدودة كما سبق واشرنا ، كما انه لا يتجاوز المدح الصادق الذي يقوم على الصدق والامانة وخدمة الاسلام ورضا الله وعدم تجاوز حدوده ، ذلك لأن الشخصيات الممدوحة قد تجسدت فيها القيم الخلقية حقيقة وليس ادعاء وجاء الشاعر وصور تلك القيم وابرزها من أجل الارتقاء بالاسلام ورجاله فحسب .**

**السمات العامة للشعر في عصر صدر الاسلام**

**تقديم :**

**على الرغم من تأثر الأدب بشكل عام بالاسلام وما أحدثه من تغيير على مستوى الحياة الاجتماعية والفكرية ، والدينية ، إلا أن الشعر العربي في صدر الاسلام ظل امتدادا لما كان عليه النص الشعري في العصر الجاهلي ، لاسيما من حيث الغراض الشعرية والأساليب ، وطريقة الإداء ، وهذا لايعني أننا لم نلحظ تجديدا في في الشعر الاسلامي ، فمن غير الممكن أن يكون الشاعر بمنأى عن ما أصاب الحياة من تطور وتغيير في ظل الاسلام ، ولكن المقصود هنا أن التطور والتغيير الذي أصاب الشعر خاصة لم يكن بالمستوى المطلوب ، أو بلم يكن يوازي تطور الاحداث ، والتغييرات الجذرية التي واكبت ظهور الاسلام ، ولعل أهم الاسباب في ذلك :**

1. **إن أغلب الشعراء الاسلاميين هم أنفسهم جاهليون أدركوا الاسلام ، فظلوا على قيمهم الفنية التي كانوا يسيرون عليها .**
2. **إن الفن الشعري عملية مقيدة ، ومن الصعوبة أن يطرأ عليها التغيير بهذه السرعة ، لذلك ظل الشعراء المخضرمون في طريقة إدائهم ، وأسلوبهم قريبون من طريقة الاداء والاسلوب القديم أي الجاهلي . ولكن إذا تعمقنا في شعر شعراء صدر الاسلام ، سواء شعراء الحاضرة ، وحتى بعض شعراء البادية ، الشعراء المخضرمين منهم ، والجدد الذين أنطقهم الاسلام بالشعر ، نجد ملامح التجديد والتغيير قد طرأت على هذا الشعر ، وهذا التغيير يشمل الألفاظ والتراكيب ، والمعاني ، الصور والاخيلة والأفكار ، البناء العام للقصيدة .**

**وتسهيلا للإلمام بهذا الموضوع سوف نتناول السمات الفنية للشكل الشعري ثم المضمون و الاسلوب .**

**أولا - السمات الشكلية :**

1. **الألفاظ والتراكيب : تميزت ألفاظ الشعر وتراكيبه بشكل عام في هذا العصر:**
2. **السهولة والوضوح والسلاسة .**

**تميزت الألفاظ والتراكيب عند شعراء صدر الاسلام بسهولتها ووضوحها ، وبعدها عن الغريب والحوشي والتنافر بما يناسب الحياة الجديدة ، ومن أسباب ذلك :**

1. **القرآن الكريم ، إذ سار الشعراء على منهج القرآن وأسلوبه ، وتأثروا به تأثرا واضحا ، وبما أن ألفاظ القرآن وتراكيبه تميزت بالوضوح والسلاسة والعذوبة ، فقد انعكس ذلك على قصائد الشعراء ومقطوعاتهم بشكل واضح . فالقرآن كتاب سماوي حضاري في لفظه ومعناه ، وفي أسلوبه ومبناه ، وقد نزل على رجل من العرب هو أفصحهم ، وأصفاهم لغة ، فجاء القرآن لتأصيل هذه الفصاحة ، وتهذيبها ، والانتقال بها الى عذب الألفاظ ، حتى استهوى العرب بنظمه وبلاغته ، واعجازه وبيانه ، ورقة لغته ، وصفاء ألفاظه ، فاتجهوا الى تقليد نسجه ، والنظم على منواله ، فقلدوا الألفاظ ،واقتبسوها في أشعارهم وخطبهم .**

**2 - التحضر والاستقرار في المدن ، والابتعاد عن حياة البداوة والترحال والمعاناة ، وكما ذكرنا أن القرآن كتاب سماوي حضاري ، فقد نقل العرب من حال الى حال ، فبالأسلام تغيرت حياة العرب ، وأنماط عيشهم ، وسلوكهم ، ومعتقداتهم ،كما أن الاسلام حد من قلقهم واضطرابهم ، وهذب غرائز النفوس ، وسما بالعقول والأرواح ، وهكذا انسحب هذا التغيير على اللغة والأدب شعرا ونثرا ، فكان للألفاظ والتراكيب حصة من هذا التغيير ، فبدأت تنحو منحى الوضوح والسهولة والعذوبة بما يناسب الحياة الجديدة . لقد عاش الشعراء في بيئة حضرية في ظل الاسلام ، لذلك جاءت ألفاظهم منتزعة من هذا الواقع الحضري ، فالبيئة الحضرية من شأنها أن ترقق الألفاظ ، وتصفيها ، وتزيل ما يلحق بها من خشونة البادية ، وغرابتها ، لهذا جاء الشعر رقيقا سلسا ، وقد أكد الجرجاني في كتابه ( الوساطة ) على ذلك حيث قال : ( فلما ضرب الاسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ، ونزحت البوادي الى القرى ، وفشا الترف والتأدب ، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا الى كل شيئ ذي أسماء فاستعملوا أحسنها مسمعا ، وألطفها من القلب موقعا ، والى ماللعرب فيه لغات ، فاقتصروا على أسلسها ، وأرشقها ......) . ( 34)**

**ب - الجدة والاتساع والنماء**

**كما تميزت الألفاظ بجدتها ، فقد حصل تغيير على قاموس الألفاظ ، فنلاحظ موت الفاظ جاهلية قديمة لم يعد الشاعر يستعملها لأنها لا تطابق الواقع الاسلامي ، إذ كانت تمثل الصحراء وخشونتها ، ونشأت بدلا عنها ألفاظ جديدة دخلت قاموس الشعر تأثرا بالقرآن الكريم الذي ساعد على اتساعها ، وإنمائها ، وانفتاح أفقها ، والخروج بها من محيطها الضيق الى آخر اسلامي واسع ، كما ألغى بعض الألفاظ بإلغاء معانيها ، واستحدثت ألفاظ أخرى ، فمما ألغي من الألفاظ الجاهلية التي لم تعد الحاجة لأستعمالها ، ولم تتناسب مدلولاتها مع الواقع الاسلامي أنعم صباحا ، أنعم مساء، أبيت اللعن ) وهناك ألفاظ جديدة مستحدثة مثل : ( الخليفة ، أمير المؤمنين ، الشرطة ، الجباية ، الخراج ) وبعضها لها مدلولان لغوي وشرعي : كالمسلم ، الكافر ، المؤمن ، المنافق ، الصلاة ، الصوم ، الجنة ، النار ، الزكاة ، الحج ، ومنها ماله علاقة بالعقيدة ، كالتوحيد ، الفقه ، السنة ، الشريعة**

**أما التراكيب : فقد تميزت بالمتانة والوضوح والبساطة ، فلم نعد نرى في تراكيب الشعراء ألتواء أو غموضا ،أو تعقيدا وذلك بتأثير القرآن ، وبساطة العيش والتحضر ونلاحظ أن هناك تراكيب استجدت في هذا العصر من وحي التأثير بالقرآن ، فتوسعت مصطلحات وتراكيب الشعراء ، وأضيف اليها تراكيب جديدة ، وكان لابد أن يتبع التطور الاداري للدولة تطورا في المصطلحات ، كنشوء ديوان الجند ، والرسائل والبريد ، والقضاء وغيرها من التطورات الادارية التي كان لها أثر ايجابي على الشعر .**

1. **البناء العام للقصيدة :**

**من نظرة عامة على القصيدة العربية في عصر صدرالاسلام نرى أن الشعراء ظلوا يتبعون النماذج القديمة السابقة ، فكان أغلب الشعراء يلتزمون بالقالب الشعري التقليدي من حيث الوزن الشعري ، والقافية ، وحرف الروي الواحد في القصيدة كلها تقليدا للجاهليين ، كما كانت نسبة غير قليلة من الشعراء يلتزمون جزئيات القصيدة الجاهلية ويتبعون موضوعاتها ، كالاستهلال بالمقدمة الطللية أو الغزلية ، ووصف الرحلة ، والراحلة ( الناقة ) ، والالتزام بحسن التخلص أو بيت الانتقال ( فدع ذا ، فدع عنك هذا ، فدعها .... ) وماكان شائعا عند الجاهليين ، وهذا ما وجدناه شائعا عند حسان بن ثابت وكعب بن زهير في قصيدته ( البردة ) والتي استهلها بالغزل إذيقول : (35)**

**بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول**

**وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول**

**تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول**

**وحين انتقل الشاعر من الغزل الى وصف الناقة مهد الى ذلك ببيت انتقال على شاكلة الشعراء الجاهليين ملتزما بناء فنيا متبعا شعراء سبقوه .إذ يقول :**

**أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل**

**وفي قصيدة حسان التي صور فيها يوم الأحزاب استهلها بمقدمة طللية غزلية قصيرة ، واستعمل حسن التخلص لغرضه الرئيس وهو وصف يوم الأحزاب : (36)**

**هل رسم دارسة المقام يباب متكلم لمحاور بجواب**

**ولقد رأيت بها الحلول يزينهم بيض الوجوه ثواقب الأحساب**

**ثم ينتقل من وصف الطلل ، والتغزل بالحبيبة الى وصف ذلك اليوم ، وذكر أصحابه وما أحدثوه بالعدو حين اللقاء :**

**فدع الديار وذكر كل خريدة بيضاء آنسة الحديث كعاب**

**واشك الهموم الى الإله وما ترى من معشر متألبين غضاب**

**كما سار حسان على هذا النهج القديم في قصيدته التي صور فيها يوم بدر ، إذ ابتدأ بوصف الطلل حتى إذا انهى ذلك انتقل الى غرضه في وصف يوم الخندق ، وذكر أبطال المسلمين ، وما أحدثوه بعدوهم من خلال بيت انتقال استهله بعبارة ( فدع عنك التذكر ....) يقول : (37)**

**عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب**

**فلاقيناهم منا بجمع كأسد الغاب من مرد وشيب**

**أمام محمد قد آزروه على الأعداء في رهج الحروب**

**فدع عنك التذكر كل يوم ورد حزازة الصدر الكئيب**

**وخبر بالذي لاعيب فيه بصدق غير إخبار الكذوب**

**ومن الاستهلالات التقليدية الأخرى استخدام لفظة ( أبلغ ، ألا ابلغ ، من مبلغ ) كم في قول حسان يهجو أبا سفيان بن الحارث : (38)**

**ألا ابلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء**

**ومع ان الشعراء من حيث بناء القصيدة ظلوا يترسمون خطى الجاهلية ، ورغم هذا التقليد ، نلاحظ ان هناك كثيرا من الشعراء ، بل الأغلبية منهم جددوا في شعرهم ، وتركوا قدرا كبيرا من التقاليد القديمة ، منها المقدمات التقليدية ( طللية وغزلية ) ، ووصف الرحلة وحسن التخلص ، وغيرها ، فتحرروا من من التقاليد القديمة ، واستعاضوا عنها بالمطالع جديدة ، كالمطالع الدينية ، من ذلك قصيدة النابغة الجعدي استهلها بمطلع ديني يقول فيه : (39)**

**الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما**

**المولج الليل في النهار وفي الل يل نهارا يفرج الظلما**

**ومثل ذلك قصيدة ابوصخر الهذلي يستهلها بقوله : (40)**

**أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر**

**وهناك من استهل قصيدته بالحكمة تعويضا عن المقدمات التقليدية ( الطلل والغزل ) وخاصة في غرض الرثاء إذ توحي بالجلال والهيبة وهذا ينسجم مع الرثاء ، ولعل أشهر النماذج في ذلك قصيدة أبي ذؤيب الهذلي التي استهلها بقوله : (41)**

**أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع**

**كما تحرر الشعراء من تقاليد وصف الرحلة والصحراء ، وهذا لا نجده إلا في قصائد اسلامية محدودة جدا كما في بعض قصائد حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، كما تحرر الشعراء كثيرا من مخاطبة الاثنين ( عوجا ، قفا .... ) كما ترك الشعراء الاسلاميون صيغ ( عم صباحا ، عم مساء ) ومع هذا فلا يخلو بعض شعر الشعراء من هذه التقاليد التي لازالت ملتصقة بالشعراء المخضرمين كجزء من ثقافتهم القديمة .**

**أما مايخص طول القصيدة وقصرها ، فيلاحظ ان شعر صدر الاسلام عامة يتميز بقصر النفس الشعري فأعلب الشعر عبارة عن مقطوعات قصيرة ويبدو سبب ذلك : 1- أن كثير منه قيل في سوح الحرب والقتال كشعر الفتوحات ، وشعر حروب الردة وغزوات الرسول ، والشاعر في مثل هذه الظروف السريعة المربكة لايميل الى الاطالة عادة .**

**2- وما قيل خارج الحرب فقد مال هو الاخر للقصر لأن ظرف الشاعر الاسلامي وانشغاله بالدين الجديد وانفعاله مع الاحداث السريعة المتتابعة لم تعطه فرصة للتأمل والتأني والاطالة، فآثر المقطعات على القصائد .**

**أما مايخص الاوزان والقوافي فقد سار الشعراء على منوال اسلافهم في تفضيل بحور الشعر المتكاملة غير المجزوءة والطويلة منها كالكامل والطويل والبسيط والوافر وغيرها أما القوافي فق آثروا القوافي الشائعة أو ما يعرف بالقوافي الذلل التي نأتي على حروف شائعة ، وميسورة ، مثل : ( الميم ، اللام ، الراء ، الدال ، العين ، الباء ............)**

**ثانيا : سمات المضمون :**

**وتشمل المضامين : المعاني والأفكار ، والأخيلة والصور .**

1. **المعاني والأفكار : تميزت المعاني والافكار في ظل الاسلام بالجدة متأثرين في ذلك بالقرآن الكريم ، والواقع الاسلامي الجديد ، والمتغيرات التي وجدت في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الامة ، لقد طرأت على القصيدة تغييرات من ضمنها ما يخص المعاني ، وهذا أمر طبيعي مادام الاسلام شكل انقلابا خطيرا في شؤون الحياة المختلفة ، فلابد أن تكون المعاني الاسلامية مخالفة للمعاني الجاهلية ، وهكذا اتسعت المعاني في ظل الاسلام ، وتغيرت ، واتسعت ، وتشعبت باتساع آفاق الشعراء المسلمين ، واتساع بيئتهم ومدركاتهم ، من تلك المعاني مايتعلق بالعقيدة الاسلامية كالعبادة ، والحياة العامة السياسية والفكرية ، كمعنى (التوحيد) الذي تناوله الشعراء بصور مختلفة وهو معنى جديد ، مع ان التوحيد كان شائعا قبل الاسلام لكن ليس بالعمق الذي اصبح به في ظل الاسلام ، يقول أبو قيس الأنصاري في ذلك : ( 42)**

**ونعلم أن الله لارب غيره وإن كتاب الله أصبح هاديا**

**ومثله قول لبيد : (43)**

**فواعجبا كيف يعصى الإل ه أم كيف يجحده الجاحد**

**وفي كل شيئ له أية تدل على أنه واحد**

**وكذلك معنى ( السعادة ) فقد كان سائدا في الجاهلية أن السعادة في المال والجاه ، واللذه، ولكن في الاسلام أصبح للسعادة مدلولات أخرى كما يرى الحطيئة : (44)**

**ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد**

**وكذلك ( الحزم ) واللجوء الى السيف والقوة ، فهذا المعنى غلفته العقيدة الاسلامية بمنى**

**جديد آخر بعد أن كان بمعنى القوة والسيطرة والظلم ، فقد أصبح يعني في ظل الاسلام الانقياد لأوامر الله كقول الفضل بن العباس : (45)**

**والحزم تقوى الله فاتقه ترشد وليس لفاجر حزم**

**وكذلك معنى ( الملك والقضاء والقدر ) ومع ان الشاعر الاسلامي في بداية صدر الاسلام لم يناقش هذه المعاني بعمق وفلسفة واعية ، ولكنه بعد فترة وبعد انتشار الاسلام وتأثره الواضح القرآن بدأ يفكر بشكل بشكل آخر مع انه لم يكن بالمستوى المرجو ، يقول حسان في هذا المعنى : (46)**

**ونعلم أن الملك لله وحده وأن قضاء الله لابد واقع ويقول الحصين بن الحمام المري : (47)**

**فلم يبق من ذاك إلا التقى ونفس تعالج آجالها**

**أمور من الله فوق السما ء مقادير تنزل إنزالها**

**ومثله قول كعب بن زهير : (48)**

**فقلت خلو سبيلي لا أبا لكم فكل ماقدر الرحمن مفعول**

**ومن الأفكار الأخرى فكرة ( البعث والحساب ) والمعروف ان عرب الجاهلية ماكانوا يؤمنون بالبعث بعد الموت ولا بالقيامة ، ولم تكن تأخذ هذه الافكار مجالا في الشعر ، أما في العصر الاسلامي فالأمر مختلف ، فهناك ايمان بالبعث والحساب والقيامة والجنة والنار**

**ومما ينسب للإمام علي ( عليه السلام ) قوله : (49)**

**ولو إنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي**

**ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل فيها عن كل شي**

**ومن الجدير بالذكر أن شعر البادية لم يكن بمنأى عن التأثربالإسلام ، فقد تأثر شعراء البادية بالاسلام لفظا ومعنى ، وقد لمحنا تأثرا واضحا بشكل عام في ثنايا شعرهم ، ولعل ذلك يبدو بشكل واضح في شعر كعب بن زهير ، فهو الذي يقول : (50)**

**لو كنت أعجب من شيئ لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر**

**يسعى الفتى لأمور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر**

**ومرة أخرى يقول موجها فومه الى التمسك بالاسلام مستعينا بألفاظ ومعان اسلامية ، يقول : (51)**

**رحلت الى قومي لأدعو جلهم الى أمر حزم أحكمته الجوامع**

**سأدعوكم جهدي الى البر والتقى وأمر العلا ما شايعتني الأصابع**

**فكونوا جميعا مااستطعتم فإنه سيسلبكم ثوب من الله واسع**

**فهو يدعوهم للتمسك بالبر والتفوى ، وبالاسلام وفاء لما بايعوا الله ، عليه ، والرسول ، ومثله قول أبي ذؤيب الهذلي مستعينا بمعان مستمدة من القرآن ، إذ يقول : ( 52)**

**أبا عبيد رفع الكتاب واقترب الموعد والحساب**

**ومع هذا فأن (هناك من شعراء البادية من أعراب نجد واليمامة نشأوا في الجاهلية ، وتطبعوا بطبائع أهلها ، ولم يتأثروا كثيرا بالاسلام لجفائهم وشدة تبديهم، وغلظ طباعهم ، ثم إنهم لم يتعرضوا كثيرا لإفحام القرآن والانبهار به ، وهؤلاء ظلوا يقولون الشعر في الاسلام كما كان يقوله أسلافهم في جاهليتهم ، ولذا كان شعرهم قويا متينا كالشعر الجاهلي ، مما جعل بعض من ألفوا في طبقات الشعراء يسلكهم في زمرة طبقات شعراء الجاهلية . ) (53) ولعل من هؤلاء الشعراء البدو الذين ظل سمتهم واتجاههم جاهليا ، كأعشى همدان ، ومتمم بن نويرة ، ومعن بن أوس ، والشماخ بن ضرار ، والمخبل السعدي ، والربيع بن علباء ، وأبو زبيد الطائي ، والحطيئة ، وغيرهم كثير . ويبدو ان من أجل أشعار هؤلاء ذهب بعض مؤرخي الأدب الى القول بأن الشعر في صدر الاسلام ظل مزدهرا كما كان في الجاهلية ، ومن أشهر من ذهب الى ذلك المستشرق الإيطالي ( كارلو نالينو) (54)**

1. **الصور والأخيلة : تعتبر الصور والأخيلة الشعرية من الأركان المهمة للنص الادبي ن ولكي نعطي حكما دقيقا للنص الادبي شعرا أو نثرا علينا معرفة الصورة والخيال الذي يتضمنه النص ، و الصور والاخيلة الشعرية ينتزعها الشاعر من البيئة والواقع الذي يعيشه، فالشاعر الجاهلي كان ينتزع صوره من البيئة الصحراوية ، ولذلك فكثير من الصور الجاهلية والأخيلة لا نجد لها حضورا في الشعر الاسلامي إلا في حدود التقليد والمحاكاة ، إذأن الشاعر الاسلامي أصبح يعيش حياة جديدة ، فكان لزاما عليه أن ينهل من هذه الحياة ،ويبتعد عن حياته السابقة ( الجاهلية ) ومعطياتها ، لقد بدأ الشاعر الاسلامي يخوض بأخيلة وصور جديدة متأثرا بالمعاني الاسلامية ، ومن الصور المستوحاة من الآيات القرآنية ما قاله النابغة الجعدي في تصويره لخلق الانسان ، فالصورة والخيال عنده مستوحى من القرآن الكريم الذي جاء فيه وصف خلق الانسان ، يقول :**

**المولج الليل في النهار وفي الل يل نهارا يفرج الظلما**

**............................................... الى آخر القصيدة التي ورد ذكرها سابقا ويمكن الرجوع اليها ، فقد صور مراحل الخلق : خلق السموات والأرض ، والليل والنهار ، وخلق الانسان ، ومراحل ذلك ، منذ أن كان نطفة حتى استوى بهيئة انسان متكامل ، كما صور اختلاف ألسنة الناس ، وألوانهم ، ومعيشتهم ، وكل هذه الصور تحدث عنها القرآن في كثير من آياته ، فتأثر بها الشعراء ، واستمدوا صورهم منها ، ومثله قول هذا الاعربي الذي قال يمدح الامام علي ( عليه السلام ) وقد كساه حلة : ( 55)**

**كسوتني حلة تبلي محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا**

**إن الثناء ليحي ذكر صاحبه كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا**

**لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكل عبد سيجزي بالذي فعلا**

**فقد جعل من المدح والثناءحللا يلبسها الممدوح جزاء لمعروفه معه، كما شبه الثناء والمدح وفعله بصاحبه كالغيث ومايفعله من خصب ونماء في المكان الذي يمزل فيه ، وعليك ان تنتظر جزاء معروفك ، فكل معروف لن يذهب سدى عند الله ، إنما جزاؤه عظيم وكبير ، ويلاحظ ان صوره جاءت منسجمه مع الواقع الاسلامي الجديد .**

**ثالثا : الأساليب الشعرية :**

**تأثر شعراء هذا العصر بالقرآن الكريم وما ورد فيه من أساليب متنوعة نذكر منها :**

1. **الاقتباس : وهو تضمين الشعر والخطب والرسائل بآيات قرآنية ، فالشاعر الاسلامي أدرك جمالية النص القرآني فاقتبس منه مايساعده على إثراء النص ورفع مصداقية وقوة المضمون ، فضلا عن رفع جمالية النص لجذب السامع اليه وقد اتخذ هذا الاقتباس صورا ، وأشكالا متعددة منها :**

**الاقتباس الحرفي أو النصي ، وهو اقتباس الآية بنصها بحروفها دون تغيير كبيرفي ألفاظها ، ومنها اقتباس معنوي ، أي أخذ معنى الآية دون أخذ ألفاظها وتمثيلها في الكلام ، أي ان الشاعر يستفيد من معاني الايات دون ألفاظها ، ومن الاقتباس الأول ، أي النصي أو الحرفي قول الحصين بن الحمام المري : (56)**

**أعوذ بربي من المخزيات يوم ترى النفس أعمالها**

**وخف الموازين بالكافرين وزلزلت الارض زلزالها**

**ونادى مناد بأهل القبو ر فهبو لتبرز أثقالها**

**وسعرت النار فيها العذا ب وكان السلاسل أغلالها**

**وواضح ان النص في البيت الثاني في شطره الثاني أقتباس من الآية القرآنية " إذا زلزلت الأرض زلزالها " ، كما يلاحظ الاقتباس في البيتين بعده من سور القرآن الكريم تبدو واضحة جدأ ، ومن ذلك ما قاله الشاعر يصف حالة المؤمنين في رحاب الجنة ، ومايتمتعون به من شراب ، كما ورد وصف ذلك في القرآن الكريم : (57)**

**إنهم عند ربهم في جنان يشربون الرحيق السلسبيلا**

**من شراب الأبرار خالطه المسك وكأسا بمزاجها زنجبيلا**

**وهو مأخوذ من الآية الكريمة : " ويسقون كأسا كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا " ، ومثله قول حمزة بن عبد المطلب ( رضي الله عنه ) يوم بدر واصفا موقف إبليس من المشركين : (58)**

**فأني أرى مالاترون وإنني أخاف عقاب الله والله ذو قسر**

**وهذا اقتباس من الاية القرآنية : " إني أرى مالا ترون ، إني أخاف الله والله شديد العقاب "**

**ويتجلى الاقتباس القرآني في قول أبي عامر بن غيلان يرثي ولده الذي غازيا : (59)**

**عيني تجود بدمعها الهتان سحا وتبكي فارس الفرسان**

**لواستطيع جعلت مني عامرا تحت الضلوع وكل حي فان**

**فالبيت الثاني متأثر بقوله تعالى : " كل من عليها فان ... " في سورة الرحمن .**

* **أما الاقتباس المعنوي فهو أخذ المعنى من الآية الكريمة وتضمينه في النص الشعري ، ومن ذلك قول حسان بن ثابت وهو يصف ابليس وقد زين للمشركين حرب بدر ثم ولى مدبرا : ( 60)**

**دلاهم بغرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار**

**فقد اقتبس المعنى من الآية في قوله تعالى : " إني أرى مالاترون ، إني أخاف الله والله شديد العفاب " ، ومنه قول كعب بن مالك مستفيدا من القرآن الكريم في وصف عذاب المشركين في جهنم : (61)**

**فأمسوا وقود النار في مستقرها وكل كفور في جهنم صائر**

**تلظى عليهم وهي قد شب حميها بزبر الحديد والحجارة ساجر**

**ويبدو أنه أخذ المعنى من وصف الله سبحانه وتعالى لنار جهنم " وقودها الناس والحجارة "**

**ومثل هذا نجده في قول حسان بن ثابت يصف حال المسلمين وقد اعتصموا بحبل الله المتين غير المنقطع ولا الضعيف ، فهم أقوياء به : ( 62)**

**مستعصمين بحبل غير منجذم مستحكم من حبال الله ممدود**

**وهذا اقتباس من الآية القرآنية : " واعتصموا بحيل الله جميعا ولا تفرقوا .."**

1. **اسلوب التكرار : والتكرار ظاهرة اسلوبية تستخدم لفهم النص ، له حضوره عند البلاغيين العرب القدامى ، وهو بمعنى الرجوع والاعادة ، والتكرار يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة ، فضلا عن أنه إحدى الأدوات الجمالية المؤثرة في المتلقي ، فهو ظاهرة موسيقية ومعنوية ، وتمتد الى الكلمة والعبارة ، وبيت الشعر . لقد تمثل التكرار عند شعراء العصر الاسلامي ، وكانت غاية الشعراء فيه تكثيف المعنى ، وجعله مؤثرا في السامع ، ولعل الشعراء المسلمين تأثروا في جانب التكرار بأسلوب القرآن الكريم ، فهو اسلوب كثر في القرآن لا سيما في السور المكية التي كانت تلجأ الى التخويف والوعيد والانذار فكان التكرار مناسبا لذلك لأن في تكرارالوعيد والتهديد قدرة على بث عنصر الخوف والفزع في نفوس المشركين . لقد اتخذ التكرار عند الشعراء المسلمين صورا متعددة منها قول حسان بن ثابت لما قتل عمرو بن ود فارس قريش يوم الخندق على يد علي بن أبي طالب يفخر بقتله : (63)**

**بقيتكم عمرو بن هند أبحناه للقنا بيثرب تحمي والحماة قليل**

**ونحن قتلناكم بكل مهند ونحن ولاة الحرب حين نصول**

**ونحن قتلناكم ببدر فأصبحت معاشركم في الهالكين تجول**

**ومن تكرار العبارة قول الفضل بن العباس مخاطبا المشركين : ( 64)**

**أقر بأن الله لا رب غيره وألا تروا أمرا عظيما مداجيا**

**أقر بأن الله أرسل أحمدا نبيا كريما للخلائق هاديا**

**يلاحظ تكرار جملة ( أقر بأن الله ) إذ أراد الشاعر أن يؤكد إقراره وإيمانه وإعتقاه بالله . ومثله قول كعب بن مالك يرد على أحد شعراء المشركين يوم بدر : (65)**

**وقال رسول الله لما بدوا لنا إذا مااشتهى إنا نطيع ونسمع**

**وقال رسول الله لما بدوا لنا ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا**

**وهذا عبد الله بن رواحة يخاطب هند بنت عتبة ، مذكرا إياها بمقتل أبيها ، وعمها ، وأخيها ، وابنها في يدر : (66)**

**ألا ياهند فابكي لا تملي فأنت الواله العبرى الهبول**

**ألا ياهند لا تبدي شماتا بحمزة إن عزكم ذليل**

**ومثل هذا التكرار كثير في دواوين الشعراء الاسلاميين .**

1. **اسلوب الحجاج العقلي : فقد طغى أسلوب الحجاج العقلي القرآني على اسلوب اللجاج الجاهلي فاتخذه الشعراء وسيلة لمحاججة المشركين واسكاتهم والتغلب عليهم ، كما نشط هذا الاسلوب في نهاية العصر الراشدي بعد الخلافات السياسية والصراع على الخلافة ، فكان أسلوبا ناجحا للتعبير عن مدى تأثر الشعراء بالقرآن الكريم ، ومدى تطور أساليب التعبير عند شعراء هذه المرحلة ، وفي مثل هذا يقول عبد الله بن جحش ، يرد على قريش حين قالت : أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، فأجاب مناقضا : (67)**

**تعدون قتلا في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد**

**صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد**

**وأخراجكم من مسجدالله أهله لئلا يرى لله في البيت ساجد**

**وهذا حسان بن ثابت يخاطب قتلى بدر من المشركين يحاججهم مستفيدا من قول الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) حين قال مخاطبا قتلى المشركين يوم بدر وهم في القليب ( بئر ) : ( هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ) : ( 68)**

**ألم تجدوا كلامي كان حقا وأمر الله يأخذ بالقلوب**

**فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب**

**ومنه ماقاله حسان بن ثابت يرد على أبي سفيان بن حرب قائد المشركين ، وقد سبق وقال متشفيا بمن قتل من المسلمين في أحد ، وكان يحاججه بأن حمزة لم يضيع دمه هدرا ، فقد سبق وقتل المسلمون جمعا من المشركين في بدر ، وكانوا من عظماء قريش : (69)**

**ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ولست لزور قلته بمصيب**

**أتعجب أن أقصدت حمزة منهم نجيبا وما سميته بنجيب**

**ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه وشيبة والحجاج وابن حبيب**

**ولعل مثل هذا الاسلوب مر بنا أيضا في المناقضة التي كانت بين كعب بن جعيل والنجاشي حول اختلاف الولاء بين أهل الشام ، وأهل العراق ، يمكن مراجعة النص ، في موضوع الهجاء السياسي .**

1. **أسلوب القصة : وهو أسلوب عرفه الشاعر الجاهلي وضمن شعره بعض قصص التراث والاساطير ، وفي ظل الاسلام بدى القص أسلوبا واضحا عند الشعراء متأثرين بالقرآن الكريم ، وما ورد فيه من قصص الامم الغابرة وقصص الانبياء كقصة سيدنا : ( موسى ، ويوسف ، وعيسى ، ولوط وصالح ، وأيوب ... ) عليهم السلام والامم الغابرة كعاد وثمود وطسم ، ومما ورد عند الشعراء من ذلك قول النابغة مشيرا الى قصة سبأ وهلاك الامبراطورية الفارسية القديمة : (70)**

**ياأيها الناس هل ترون الى فارس بادت وخدها رغما**

**أمسوا عبيدا يرعون شاءكم كإنما كان ملكهم حلما**

**أو سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون دون سيله العرما**

**وهذا حسان بن ثابت يقول عن قصة عقر الناقة التي وردت في القرآن ، متخذا هذه القصة مثلا يقيس عليها من تسبب بإيذاء قومه وهجائهم فهو كأشقى ثمود الذي ورد ذكر قصته في القرآن ، والذي قتل النافة التي نهاهم الله عن قتلها على لسان نبيها الكريم (71)**

**يكون إذا بث الهجاء لقومه ولاح شهاب من سنا البرق واقد**

**كأشقى ثمود إذ تعاطى بسيفه فصيلة أم السقب والسقب وارد**

1. **أسلوب القسم والدعاء : من الاساليب التي نجدها عند شعراء صدر الاسلام ، وقد كانت حاضرة في الذكر الحكيم لا سيما في السور المكية ، إذ كثر فيها القسم تأكيدا لنبوة محمد ( ص ) ، وقد تأثر الشعراء بهذا القسم كقول أبي صخر الهذلي : (72)**

**أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا وهو بيده الأمر**

**وهذا كعب بن مالك يقسم بالرحمن إذ يقول : (73)**

**فأقسمت بالرحمن لا شيئ غيره يمين امرئ بر ولا أتحلل**

**وهذا خبيب بن عدي الصحابي الذي ارسله الرسول لبعض القبائل ليعلمهم امور الدين فغدروا به وبمن معه ، فقال شعرا يشكو ذلك :**

**فوالله ما أرجو إذا مت مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي**

**ومثله قول عبد الله بن رواحة وهو يرتجز : (74)**

**أقسمت يانفس لتنزلنه**

**لتنزلن أو لتكرهن**

**إذ أجلب الناس وشدوا الرنه**

**مالي أراك تكرهين الجنه**

**قد طال ما قد كنت مطمئنه**

**هل أنت إلا نطفة في شنه**

**ومثل الفسم كثير في شعر شعراء صدر الاسلام ، وقد كانوا متأثرين بأسلوب القسم الذي ورد كثيرا في كتاب الله لاسيما في السور المكية لغرض الاقناع والتخويف والوعيد .**

**الفصل الرابع**

**شعراء عصر صدر الاسلام ( عصري النبوة والراشدين )**

**يمكننا ان نقسم هؤلاء الشعراء على قسمين أو فئتين تسهيلا لدراستهم ، وذلك حسب بيئاتهم :**

**أولا : شعراء الحاضرة ( شعراء المدينة من الانصار )**

**حسان بن ثابت الأنصاري (1 )**

**أول شعراء المسلمين ، وأعظمهم مكانة ، أكثرهم شعرا ، هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي ، كنيته أبو الوليد من شعراء الانصار بالمدينة ، منهم الشعراء المخضرمين ، يقال أنه عاش ستين عاما في الجاهلية ، ومثلها في الاسلام ، أي كان من المعمرين ، أدرك الاسلام ، وحسن اسلامه ، واشتهر بأنه شاعر الرسول ، إذ كان يلقي شعره من على منبر الرسول في المسجد، وتأتي أهمية حسان بن ثابت من خلال :**

1. **أنه من أبرز الشعراء الذين حاربوا المشركين بشعرهم وانتصروا عليهم واسكتوهم**

**ب - أنه أقوى شاعر اعتمد عليه الرسول في الذب أو الدفاع عن أعراض المسلمين ضد هجاء المشركين ، ويروى أنه حين اندفع يستأذن الرسول للرد على هجاء شعراء كفار قريش ، قال له الرسول : كيف تهجوهم وأنا منهم ، أي ان الرسول ينتمي لقريش ، فأجابه حسان بثقة واقتدار : سوف أسلك يارسول الله كما تسل الشعرة من العجين ، وفعلا بعثه الرسول الى ابي بكر الصديق ليعلمه انساب قريش فقال شعرا يهجوهم به ويطعن فيهم وفي انسابهم دون أن يمس نسب الرسول الشرف (2) .**

**ج - ثم أن حسان شاعر جاهلي ذائع الصيت ، له شعر جيد في جاهليته فهو من الشعراء الفحول الذين أشاد بهم النقاد القدامى ، لذلك كان من الطبيعي ان يتميز على الشعراء المسلمين وان يلقى عناية من الدارسين أكثر من الآخرين ، يقول فيه أبو عبيدة - أحد نقاد العرب القدامى - : ( فضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر يثرب في الجاهلية ، وشاعر الرسول في الاسلام ، وشاعر اليمن كلها ) ، وقال فيه أيضا : ( ( اجتمعت العرب على ان حسان أشعر أهل المدر ) ، وقيل عنه أيضا : ( حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء ) (3) .**

**فحسان من بقية الشعراء الفحول لم يبقى في عصره من يطاوله مكانة غير لبيد وكعب بن زهير والحطيئة ، ولم يستطع أحد من هؤلاء أن يبرز في الاسلام**

**حسان بن ثابت في جاهليته :**

**كان حسان في جاهليته شاعر الخزرج دون منازع دافع عن قومه في خصومتها مع الاوس ودخل في مناقضات هجائية مع شاعري الاوس قيس بن الخطيم ، وابي قيس بن الأسلت ، ويقال انه عرض شعره على النابغة في سوق عكاظ ، وسمع النابغة شعره قائلا له : ( إنك لشاعر ) ، كان لحسان في الجاهلية حرية واسعة وكانت له اتصالات مع الغساسنة والمناذرة اذ وفد عليهم ونادمهم ومدحهم ، وهو القائل في مدح الغساسنة : (4)**

**بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول**

**نظم حسان في جاهليته شعرا في المديح والهجاء ، ولم تكن هناك قيود تحد من معانيه واغراضه فانطلق يخوض فيها جميعا ويبدع في الجوانب الفنية ، وصف الخمر والحانات والقيان، إذ كان يعيش في بيئة حضرية ، وكان تأثير البيئة والتحضر واضحا في شعره ، فقد جاء سلسا واضحا بسيطا في لغته واساليبه ، ونقصد بذلك شعره الجاهلي كان متأثرا بالحاضرة وبدت المسحة الحضرية واضحة عليه وقد اختلف في ذلك عن شعراء البادية من أقرانه الشعراء الجاهليين**

**حسان بن ثابت في الاسلام :**

**أسلم حسان بعد أن هاجر الرسول الى المدينة ، ونزل في دار من دور بني النجار ،وآخى بين عثمان بن عفان وأخيه ( أخو حسان ) أوس بن ثابت ، ولما أخذ شعراء قريش بهجاء الرسول انبرى لهم حسان يرد هجومهم على الرسول والمسلمين ، وكان الرسول يدعو له بمثل قوله : ( اللهم أيده بروح القدس ) (5) واستمع الرسول لبعض هجائه فيهم فقال : ( لهذا أشد عليهم من وقع النبل ) وفي حديث للرسول قوله : ( أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش ، فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك ، فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت ، فشفى واشتفى )(6) فكان أشد هجاء على المشركين هجاء حسان . ونظم حسان في الاسلام موضوعات ماكان يعرفها في جاهليته ، فقد أصبح مقيدا بتعاليم الاسلام فترك ما رفضه الاسلام ونظم في معان ومضامين جديدة أوجدها الاسلام وحث عليها**

**شعر حسان بن ثابت :**

**لحسان بن ثابت ديوان شعر مطبوع بعدة طبعات منها في ليدن ، وفي مصر ، وفي تونس ، والهند ، وبيروت (7) ، وهو ديوان ضخم رواه ابن حبيب ، وحققه أكثر من محقق ، ولكن أدقها تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، وقد حوى هذا الديوان شعرا كثيرا ينتمي الى عصرين ( الجاهلي والاسلامي ) وذلك لانه شاعر مخضرم كما ذكرنا من قبل وهناك عدة ملاحظات على شعره منها :**

**1- كثرة شعر حسان في الاسلام وقلته في الجاهلية .**

**أن شعر حسان في الجاهلية أقل من شعره في الاسلام ، أي ان الشعر الاسلامي متفوقا من حيث الكم ، واسباب ذلك :**

**أ - أن الاسلام هيأ معان وأفكار وموضوعات للشعراء سواء حسان وغيره ماكانوا يعرفونها من قبل**

**ب - شعر حسان الاسلامي أصيب بالانتحال والتزيد ، أي وضع عليه شعر لم يقله فزاد الشعر المنسوب اليه**

**2-الانتحال في شعر حسان :**

**تعرض شعر حسان الاسلامي منه للانتحال ، أما شعره الجاهلي فلم يدخله الانتحال وهو شعر موثوق وصحيح ، ومن مظاهر الانتحال في شعر حسان الاسلامي :**

1. **الضعف واللين والارباك الذي لحق ببعض شعره الاسلامي .**
2. **تفاوت كبير في الاسلوب والعاطفة والخيال مابين شعره وما نسب اليه من شعر**
3. **إشارة بعض الدارسين الى ذلك صراحة منهم ابن سلام الجمحي الذي قال : (حمل عليه - اي حسان - مالم يحمل على أحد ) (8) ومما قيل عنه : تأتي له أشعار لينة ، و تنسب له أشعار لا تصح عنه . ومن الدارسين المحدثين الذين أشاروا الى ذلك الدكتور شوقي ضيف الذي قال : " والحق أن شعر حسان الاسلامي كثر الوضع فيه ، وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة اليه من ركاكة وهلهلة ، لا لأن شعره لان وضعف في الاسلام كما زعم الأصمعي ، ولكن لأنه دخله كثير من الوضع ، والانتحال .... " (9)**

**أسباب الانتحال في شعر حسان :**

**للإنتحال في شعر حسان أسباب متعددة نذكر منها :**

1. **: شهرة حسان بأنه شاعر الرسول جعلته شخصية كبيرة ومؤثرة ومغرية ، مما حدى البعض ان ينظم شعرا وينسبه الى حسان من أجل ان ان ينتشر هذا الشعر ويطير في الآفاق البعيدة ، فاتخذ البعض حسانا وسيلة للشهرة والذيوع .**
2. **: ان قريش أرادت أن تقتص من حسان وتثأر لنفسها منه لأنه نال منها قبل اسلامها اي قبل الفتح حينما كان الصراع قائما بين المسلمين والمشركين ، لذلك وضعوا عليه أشعارا تسيئ اليه ، واشعارا لم يقلها .**
3. **: إن حسان بن ثابت أقحم نفسه في الصراعات السياسية والفتن التي حدثت في نهاية العصر ، وتحديدا في زمن الخليفة عثمان بن عفان والفتنه التي اعقبت مقتله ، وكانت له أشعار في مقتل الخليفة عثمان ورثائه ( 10) ، حين اعتدى عليه المعتدون ، وانتهكوا بقتله حرمة الاسلام ، ويلاحظ ان البعض ينتهز مثل هذه الفرص وينظم شعرا يريد به الاساءة لشخصية الشاعر والنيل منه .**

**3-السهولة واللين والضعف في شعر حسان :**

**علينا أولا أن نفرق بين بين سهولة شعر حسان من جهة وبين اللين والضعف في شعره ، أما سهولة شعر حسان فهذا أمر أشرنا اليه حينما تحدثنا عن طبيعة شعره الجاهلي والاسلامي والفرق بينهما وعرفنا أن شعر حسان بشكل عام سواء في العصر الجاهلي أو العصر الاسلامي كان واضحا سهلا وليس كأقرانه من شعراء البادية ، والمعاصرين له ، ولا أظن ان هذه تهمة أو معيبة يؤاخذ عليها الشاعر بل العكس وأما أسباب هذا الوضوح والسهولة في شعره فمنها :**

**1: كونه شاعر من شعراء الحاضرة أو شعراء المدن ، فقد كاش في يثرب ( المدينة) قبل الاسلام وبعده ، والمعروف ان الحاضرة لها تأثير في النفوس فهي ترقق النفس وتهذبها وتصقلها وتبعدها عن القسوة والطباع الجافة الجافية ، وكذلك تفعل مثل هذا في الاساليب واللغة والصور ، وحسان وقع تحت تأثير كل ذلك .**

1. **- تأثر حسان بالاسلام ، فبعد اسلامه وقع تحت تأثير القرآن الكريم والرسول وكلامه واسلوبه ، والمعروف ان للقرآن والحديث النبوي أثرهما الواضح في تهذيب اللغة وتشذيبها وتخليصها من الغريب وجعلها لغة سهلة واضحة**
2. **: حسان بن ثابت شاعر مطبوع ، والشعر المطبوع شعر مباشر بعيد عن التكلف والتصنع يقوله الشاعر على السجية والطبع ، لايعيد ولاينقح ولايجمل فيه ولذلك فالشاعر المطبوع غالبا مايكون شعره أسهل من شاعر الصنعة .**

**هذا في ما يخص السهولة في شعر حسان ، أما اللين والضعف في شعره فهذه تهمة باطلة ليس لحسان يد فيها ، وإنما جاءت بسبب الانتحال والتزيد الذي أصاب شعره وقد ذكرنا ان بعض شعر حسان الاسلامي أصابه الانتحال ، وهذا واضح باعتراف النقاد والدارسين القدامى ، ومن الجدير بالذكر ان هذا اللين رافق شعره الاسلامي وليس الجاهلي وهذا دليل على ان الضعف واللين الذي اتهم به حسان إنما كان بسبب الانتحال الذي تعرض له شعره في الاسلام فقط وليس قبل ذلك .**

**موضوعات شعر حسان بن ثابت في الاسلام –**

**منذ دخول حسان الى الاسلام وهو يوظف شعره في خدمة الاسلام ونشر تعاليمه ومواجهة أعدائه والرد عليهم وتسفيه أقوالهم وافعالهم ، وله في كل مناسبة قصائد تعبرعن حبه للاسلام والرسول ، ويمكننا أن نميز عند حسان بن ثابت في شعره اتجاهين واضحين هما :**

**أولهما – حسان شاعر المدح والرثاء**

**ويبرز حسان من خلال هذا الجانب في قصائده في مدح الرسول أولا ، ومدح أصحابه ثانيا ، ورثائهم يبرز القيم الاسلامية العليا ، والسلوك والاخلاق القويمة التي ارادها الاسلام للمجتمع ، واشعاره في هذين الغرضين تنم عن روح اسلامية وتأثر بالقرآن الكريم لفظا ومعنى ، ذلك لانه اختص بمدح ورثاء شخصيات كانت سنام الاسلام ، وفي الطليعة منه ، لاسيما شخصية الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ولابد أن كل القيم الاسلامية تجلت في هذه الشخصيات ودون شك . يقول في رثائه للرسول : (11)**

**آليت ما في جميع الناس مجتهدا مني ألية بر غير إفناد**

**تالله ماحملت أنثى ولاوضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي**

**ولابرا الله خلقا من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد**

**من الذي كان نورا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وارشاد**

**مصدقا للنبيين الألى سلفوا وأبذل الناس للمعروف للجادي**

**يا أفضل الناس أني كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد الصادي**

**ويلاحظ ان المديح والرثاء يتشابهان فالرثاء هو تعداد مناقب الرسول ، ( رثاء تأبين ) والمدح كذلك تعداد للمناقب ، وفي قصيدته هنا يعبر عن اعتزاز المسلمين بالنبي الذي جاءهم بالقرآن نورا هاديا ، يبين لهم أمور دينهم ، ويفخر بصحابة الرسول الذين أرسوا قواعد دينه، وأعزوا نبي الله وكتابه ، كما يفخر بجبريل ينزل بالوحي لبين فرائض دين الله وأحكامه، لذا فهم خيار الخلق كلهم ، ونظامهم ، وقادتهم ، هكذا كانت قصيدة المدح الاسلامية تسير ، فهي خطاب اعلامي واعلاني بارز هدفه نشر الاسلام والعمل على دعوة الناس اليه والالتزام به فهو خير عظيم أراده الله للبشر . يقول في مدحه للرسول ( صلى الله عليه وعلى آله وسلم ) ( 12) :**

**الله أكرمنا بصر نبيه وبنا أقام دعائم الاسلام**

**وبنا أعز نبيه وكتابه وأعزنا بالضرب والاقدام**

**ينتابنا جبريل في أبياتنا بفرائض الاسلام والأحكام**

**يتلو علينا النور فيها محكما قسما لعمرك ليس كالاقسام**

**فنكون أول مستحل حلاله ومحرم لله كل حرام**

**نحن الخيار من البرية كلها ونظامها وزمام كل زمام**

**لاحظ ان هذه القصيدة هي دعوة تبشيرية لدخول الاسلام ، وعلى هذه الشاكلة وهذا الهدف تجري مدائح حسان ومراثيه للرسول ولأصحابه .**

**ثانيهما : حسان الشاعر المدافع عن الاسلام ( الشاعر الهجاء )**

**وضمن هذا الاتجاه برز حسان بن ثابت شاعرا مدافعا عن الاسلام وعن الحق ضد الهجمة الضاربة من قبل كفار قريش ، لقد جاهد حسان بلسانه طوال عشرسنوات الأخيرة من حياة الرسول ، وكان له في كل موقف من مواقف المسلمين شعر ، كما كان شعره سيفا مشرعا مسلطا على رؤوس المشركين ، وقد مر بنا أن لحسان نقائض هجائية مع شعراء قريش من الكفار لعبد الله بن الزبعرى ، وابي سفيان بن الحارث ، وضرار بن الخطاب وغيرهم ، وقد استطاع حسان ان يتغلب على شعراء قريش باستخدام أسلوب هجاء مؤثر ،وهو الاسلوب الجاهلي الذي استخدمه الشعراء في ماضيهم كما استخدمه شعراء الكفار في هجائهم للمسلمين ولم يتردد حسان في استعماله لغرض النيل منهم ، والتغلب عليهم ، وكف ألسنتهم عن اعراض المسلمين ، فهو الاسلوب الوحيد الناجح للتغلب على المشركين لأن الاساليب الاسلامية ماكانت لتجدي نفعا معهم وهم على دين الوثنية ، ومن هذه الاساليب :**

**- الطعن بالانساب والتفاخر بالأحساب**

**- السخرية والاستهزاء**

**-الافحاش والبذاءة ، والتعرض لنساء الخصم**

**-التعيير بالمثالب وسلب المحامد**

**- التحقير والتصغير**

**- اسلوب التفضيل**

**كل هذه أساليب نجح حسان من خلالها من التغلب على شعراء الشرك وكفهم عن ايذاء المسلمين بجدارة واقتدار .**

**- همزية حسان في الهجاء – ( عرض وتحليل )**

**قال حسان بن ثابت قصيدته هذه متوجها بها الى ابي سفيان بن الحارث أحد شعراء كفار قريش وأشدهم عداوة للرسول والاسلام هاجيا ، وقد استهلها بوصف الطلل والتغزل بشعثاء ، ثم وصف الخمرة ، ويلاحظ انه نهج نهجا جاهليا في بناء قصيدته هذه : (13)**

**عفت ذات الأصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء**

**ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء**

**وكانت لايزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء**

**فدع هذا ولكن من لطيف يؤرقني إذا ذهب العشاء**

**لشعثاء التي قد تيمته فليس لقلبه منها دواء**

**كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء**

**على أنيابها أوطعم غض من التفاح هصره الجناء**

**إذا مالأشربات ذكرن يوما فهن لطيب الراح الفداء**

**ونشربها لتتركنا ملوكا وأسدا ماينهنهنا اللقاء**

**عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء**

**يبارين الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء**

**تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء**

**وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء**

**وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق إن نفع البلاء**

**شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاء**

**وقال الله قد يسرت جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء**

**لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء**

**فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء**

**ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء**

**بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإماء**

**هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء**

**أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء**

**هجوت مباركا برا حنيفا أمين الله شيمته الوفاء**

**فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء**

**فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء**

**لساني صارم لا عيب فيه وبحري لاتكدره الدلاء**

**هذه القصيدة قالها حسان في الهجاء كما ذكرنا في هجاء ابي سفيان بن الحارث ، وهي قصيدة اسلامية أي قالها حسان في الاسلام ، ويلاحظ أن القصيدة متعددت الموضوعات بنيت بناء تقليديا جاهليا فبدأت بالطلل إذ ذكر الشاعر الديار الدارسة وذكر الاماكن التي عفت رسومها ودرست بفعل عوامل الطبيعة ( الروامس ) التي رمست ومحت تلك الديار كالأمطار والرياح ، ويلاحظ أن حسان استخدم معجما جاهليا اذ انتقى الالفاظ القديمة التي استعملها في جاهليته وهي ( عفت ، قفر ، تعفيها ، الروامس ... ) ومن الجدير بلذكر ان حسان هنا استعان بثقافته الجاهلية التي انسحبت عليه في شعره هنا وفي قصائد أخرى دون أن يعي ذلك .**

**وحالما ينهي حسان وقفته على الأطلال الدارسة ويتذكر أنها كانت مأهولة بأهلها من الانس ، وكانت يوما مروجا ومرتعا عامرا للشياه والانعام ، ينتقل الى غرض آخر وهو الغزل إذ يتغزل بشعثاء التي أحبها فتيمته وجعلت قلبه متعلقا بها . ثم يذكر جمال شعثاء فيضفي عليها صورا جميلة حسية وهو يصفها فيشبه رضابها بالخمرة أو التفاح الذي نضج فتمايل في أغصانه. وهذا الانتقال من الطلل الى الغزل يتم من خلال بيت الانتقال ( فدع هذا .....) وبيت الانتقال هو جزء من لوازم وشروط بناء القصيدة العربية القديمة ، وعليه فإن حسان ملتزما بالتقاليد الفنية القديمة في قصيدته هذه**

**وينتقل الشاعر لغرض آخر وهو وصف الخمرة ، فيصف نشوتها وما تفعله بشاربها إذ تتركهم كالملوك ، أو كالأسود لايغلبون عند اللقاء ،**

**ثم ينتقل الى الفخر ،وويفخر فخرا جماعيا بالشجاعة والقوة ، قوة وشجاعة الجماعة المؤمنة بالله وبرسوله ، ويلاحظ انه استخدم الالفاظ والمعاني الاسلامية ،فذكر جبريل ، وأمين الله، وروح القدس ، والرسول ، وكذلك كانت المعاني اسلامية فجبريل يعين المجاهدين في حربهم مع المشركين ، والله ينصر نبيه الذي ارسله رحمة للعالمين ، ويلاحظ أن الفخر هنا كان جماعيا اسلاميا وليس فرديا جاهليا ، ينتقل بعدها الى الفخر الشخصي فيفخر بشعره ولسانه وهجائه لقريش والنيل منها ( لنا في كل يوم .... )**

**ومن ثم ينتقل الى هجاء خصمه ابي سفيان ( ألا أبلغ أبا سفيان ..... ) ويستخدم في هجائه اسلوب السخرية والاستهزاء والتصغير فيصفه بأنه ( مجوف ، نخب ، هواء ) وهي صفات تدل على أنه جبان لا قلب له ، فهو أجوف من الداخل ، فراغ ، لا شيئ ، ثم ينال منه بوصفه بالعبد المهان ويعيره بحقارة قومه عبد الدار فيصف سادتهم بالإماء اي بالنساء الخادمات الممتهنات، وهذه عيوب يأنف منها العربي ، وهي طعن بالاحساب والاصول ، وبذلك فقد سلك حسان اسلوبا جاهليا بعيدا عن الاسلام .**

**وبعد أن يفرغ من الهجاء ينتقل الى مدح الرسول وذكر مناقبه الطيبة العطره فوصفه ( مباركا ، برا ، حنيفا ، وفيا ، أمينا ... ) ويتحدى أن يصل أحدهم الى صفاته ، ويفخر بأنه يدافع عن رسول الله بكل مالديه من قدرة ، ويقدم كل مايملك وأغلى ماعنده فداء لرسول الله ، ومع ذذلك فهو حين يذكر الرسول يقول ( محمد ) دون كنية أو لقب وهذا لا يليق برسول الله ، وأخيرا ينهي قصيدته بالفخر الشخصي بذاته وشاعريته فهو صاحب لسان صارم كأنه السيف البتار على اعدائه ومتمكن من الشعر الذي ينساب على لسانه فهو كالبحر الصافي الذي لايكدره ولا ينقصه مهما اغترفت منه . القصيدة نظمت على البحر الوافربتكرار ( مفاعلتن مفاعلتن فعولن ) وقد جاء مستوعبا لأغراض الشاعر المتنوعة والمتعددة ، وكذلك القافية الهمزية التي سبقت بحرف اطلاق ( ا ء ) جاءت منسجمة مع حركات الشاعر وانفعالاته في عموم القصيدة .**

**يلاحظ ان القصيدة خلت من الوحدة الموضوعية فهي متعددت الموضوعات تقليدا للقصيدة العربية القديمة ( الجاهلية ) أما لغتها فقد تراوحت بين اللغة الصعبة القوية الجزلة ( تجلى ذلك في المطلع التقليدي وفي الفخر ) وبين اللغة السهلة الواضحة حينما عالج الشاعر المعاني الاسلامية ( مدح الرسول ، الفخر الاسلامي ) ، يلاحظ ان حسان في قصيدته استخدم الاسلوبين الجاهلي القديم، والاسلامي الجديد ويتجلى ذلك في الالفاظ والمعني والموضوعات والاساليب .**

**قيمة شعر حسان بن ثابت –**

**تتجلى قيمة شعر حسان بن ثابت في جانبين اثنين ، أو لشعر حسان قيمتين هما :**

1. **القيمة الفنية : وهي أن في شعر حسان بن ثابت سمات فنية جعلت من شعره ذات قيمة فنية كبيرة منها .**
2. **أن شعره جمع بين اسلوبين : أسلوب جاهلي قديم ، وأسلوب اسلامي جديد وقلما نجد شاعرا قد جمع بين الاسلوبين بنجاح كما فعل حسان بن ثابت فقد توفر شعره على قصيدة النفس الشعري الطويل ، واستخدم المطالع التقليدية ( طللية ، غزلية خمرية ، وصف الطيف ) واستخدام بيت الانتقال ( دع عنك ذا ، دع ذا ... ) كما استخدم الاساليب الجاهلية في الهجاء والتي مر ذكرها ( السخرية ، التحقير والتصغير ، الإفحاش في الكلام ، الطعن في الأنساب ......)**
3. **من جانب آخر فقد حضيت قصائد حسان بسمة اسلامية تجلت في الالفاظ والتراكيب الاسلامية المنتزعة من القرآن ، فضلا عن المعاني والموضوعات الاسلامية الجديدة التي جاءت مع نزول القرآن على الرسول ، وقد استطاع ىحسان أن يوظفها توظيفا بارعا تكشف عن قدرته وتمكنه وموهبته النادرة ، يضاف الى ذلك أساليب الأقتباس ، والتضمين ، الذي كثر بشكل واضح في شعره .**
4. **القيمة التاريخية : ويتجلى هذا الجانب في قيمة شعر حسان التاريخية ، إذ أن شعره يعد وثائق تاريخية مهمة للإطلاع على تاريخ مرحلة مهمة وخطيرة من تاريخ الاسلام ، فقد عاصر حسان كثيرا من الاحداث والحروب والشخصيات والاضطرابات والفتن والتغيرات الدينية والفكرية والسياسية في تاريخ الامة الاسلامية واستطاع ان يسجلها على شكل قصائد شعرية ، ليس هذا فحسب بل أن شعره الجاهلي هو الآخر وثيقة تأريخية مهمة فقد عاصر ملوك الغساسنة والمناذرة ورحل الى ديارهم ونادمهم ومدحهم ، وروى جزءا من تاريخهم في شعره ، ولهذا فهو يصلح ان يكون وثائق صادقة وأمينة في نقل الاحداث الجاهلية والاسلامية ن ولذلك نجد كثير من شعر حسان ورد في كتب التأريخ فهو وثيقة صادقة بيد المؤرخين يتجلى فيها صدق الخبر وجماليته وسموه .**

**كعب بن مالك الأنصاري(14) :**

**هو كعب بن مالك الخزرجي الانصاري ، كان قد أسلم يوم العقبة الثانية ، حيث وفد مع السبعين من أهل المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان كعبا مؤمنا قوي الايمان ، تقيا شديد التقى ، وكانت صلته بالرسول قوية ، كان أثيرا عنده ، يحبه ويدعو له بالخير ، ويشجعه على جيد الشعر ، كان كعب يسمع الحديثمن الرسول فيحفظه ، فيحدث به ، لذلك فهو يعد من رواة الحديث ، وفضلا عن ذلك كان كعبا فارسا شجاعا ومعدا من فرسان العرب ، شارك المسلمين بلسانه وسيفه ، وليس كحسان الذي شارك بلسانه فقط إذ ماكان يجيد الحرب والقتال ، ولكن كعبا كان مقداما شجاعا ، وكان يتمتع بالصبر على البلاء ، جرح يوم أحد أحد عشر جرحا ، شارك في أكثر الحروب الاسلامية ، إلا أنه تخلف عن غزوة تبوك ، وكان لهذا أسوء الأثر في نفسه ، فحزن حزنا شديدا ، حتى نزلت فيه ومن تخلف معه - وهم ثلاثة - آيات من سورة التوبة في قوله تعالى : ( وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم الله ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ) (15) عاش كعب حتى أدرك الفتنة في زمن الخليفة عثمان بن عفان ، وكانت وفاته سنة خمسين للهجرة .**

**لقد صور كعب الاحداث الاسلامية بشعره ، وكان قد شارك بسيفه ايضا ، وقد ناقض الشعراء المشركين مدافعا عن الاسلام بروح اسلامية ظاهرة التأثر بالدين الحنيف ، ولذلك لم يكن تأثير هجائه كبيرا على المشركين كشعر حسان لأنه استخدم أسلوبا اسلاميا كالتعيير بالكفر ، وعدم تصديق الرسول ، واقامة الفرائض ، وله في وصف المشركين يوم الخندق إذ يقول : (16)**

**لقد علم الأحزاب حين تألبوا علينا وراموا ديننا ما نوادع**

**أضاميم من قيس عيلان أصفقت وخندف لايدرون بما هو واقع**

**يذودوننا عن ديننا ونذودهم عن الكفر والرحمن راء وسامع**

**إذ غايظونا في مقام أعاننا على غيظهم نصر من الله واسع**

**وذلك حفظ الله فينا وفضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائع**

**هدانا لدين الحق واختاره لنا ولله فوق الصانعين صنائع**

**ويلاحظ أنه هجاء هين على الكفار غير مؤذ لهم قوامه الفخر بالدين وبالرسول . وعلى هذا المعنى الاسلامي يخاطب المشركين يوم بدر : (17)**

**عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد وليس لله قاهر**

**قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا بغوا وسبيل البغي بالناس جائر**

**............**

**وفينا رسول الله والأوس حوله له معقل منهم عزيز وناصر**

**وجمع بني النجار تحت لوائه يمشون في المآذي والنقع ثائر**

**فلما لقيناهم وكل مجاهد لأصحابه مستبسل النفس صابر**

**شهدنا بأن الله لا رب غيره وأن رسول اللهبالحق ظاهر**

**الى أن يقول :**

**وكان رسول الله قد قال أقبلوا فولوا وقالوا إنما أنت ساحر**

**لأمر أراد الله أن يهلكوا به وليس لأمر حمه الله زاجر**

**ويتضح فهم كعب وتأثره بالمعنى العام للقرآن الكريم ، فألفاظه اسلامية واضحة تعبر عن معاني اسلامية ، كالايمان بقضاء الله وقدرته ، وانه القاهر فوق عباده ، والجهاد في سبيل الله ، وطاعة الرسول ، والامتثال لأمره ، والاقرار بالوحدانية ، ونبوة الرسول محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، وقوله ( إنما أنت ساحر ) متأثر بقوله تعالى : ( وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ) وقوله : ( وليس لأمر حمه الله زاجر ) متأثر بمعنى الآية الكريمة : ( وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ) (18) وله شعر كثير يبدو فيه أثر القرآن واضحا جليا لفظا ومعنى ،**

**تميز شعر كعب بسهولته ووضوحه شأن شعر هذه الفترة ، إذ تأثر الشعراء بالقرآن الكريم والرسول ، فضلا أن كعبا من شعراء الحاضرة ومن الشعراء المطبوعين وكلن لهذا أثرا في سهولة شعره ووضوحه ، كما تميز شعره بتأثره بالقرآن من ناحية الالفاظ والتراكيب ، والمعاني والاسلوب ، لذلك فالطابع الاسلامي واضحا في شعره ، كما تميز شعره بأن معظمه مقطوعات قصيرة توفرت فيه الوحدة الموضوعية ، وتخفف كعب كثيرا من الجوانب الفنية والمقدمات بأنواعها في شعره ، فهوشاعر هدفه خدمة الاسلام بأسلوب سهل واضح .**

1. **عبد الله بن رواحة (19) :**

**ثالث شعراء الاسلام بعد حسان بن ثابت وكعب بن مالك هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري الخزرجي ، كان سيدا عظيم القدر في الجاهلية كما ذكر ابن سلام في طبقاته ، كان من السابقين الى الاسلام ، شهد بيعة العقبة مع السبعين الذين وفدوا لمبايعة الرسول ، وكان أحد النقباء الاثني عشر ، شهد حروب الاسلام جميعا بعد الهجرة وله فيها بلاءا حسنا ، كان عبد الله مؤمنا خالص الايمان ولذك كان مقربا من الرسول أثيرا عنده ، كان يحبه ويدعو له لأنه خلق في الاسلام خلقا جديدا ، وقيل أنه أول خارج الى الغزو وآخر قافل ، وكان الرسول يوجه عبد الله في مهمات ، فقد قدمه من بدر يبشر أهل العالية بمافتح الله عليه ( أي على الرسول ) ، واستخلفه على المدينة حين خرج الى غزوة بدر ، وبعثه على رأس بعثة الى خيبر ، وكان من إكرام الرسول له أنه كان يقربه ويستنشده أي يسمع شعره فاستنشده مرة فانشد : (20)**

**نجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور**

**حتى يقول :**

**إني تفرست فيك الخير أعرفه فراسة خالفتهم في الذي نظروا**

**فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا**

**فأقبل عليه الرسول بوجه مبتسم ثم قال : وإياك فثبت الله .**

**يتميز شعر عبد الله بن رواحة بسهولته، وشيوع المعاني الدينية فيه ، ويلاحظ أن شعره قليل ، وعلى الرغم من اشادة ابن سلام بشعره ، وعلى الرغم من أنه معدود من الشعراء الذين دفعوا الأذى عن الرسول ، وهاجموا قريشا ، مع ذلك فما تبقى من شعره كان قليلا والسبب في ذلك :**

**إما ضياع ىشعره ، فقد روى ابو الفرج في الاغاني (21) : أن أهون الشعر على قريش في جاهليتها هو شعر عبد الله بن رواحة ، وان أشد الشعر عليها بعد إسلامها كان شعر عبد الله بن رواحة لأنه كان يعيرها بالكفر ، ولذلك فقد كانت قريش هي السبب في طمس شعره الذي قاله في هجائها وتعييرها بالكفر .**

**ربما أن شعر عبد الله قد قل بعد الاسلام لأنه كان يتأثم من قول الشعر ، يروى أنه لما نزلت : ( والشعراء يتبعهم الغاوون . ) قال عبد الله بن رواحة : ( قد علم الله أني منهم )**

**ولكن الرسول كان يشجعه ويستنشده في كثير من الاحيان فاطمأن قلبه بعد أن سمع قول الله تعالى : ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...... ) ( 22)**

**استشهد عبد الله بن رواحة في معركة مؤته وكان حمل الراية بعد زيد بن حارثة ،وجعفر بن أبي طالب اللذين استشهدا فيها ايضا وهو يرتجز قائلا : ( 23)**

**يانفس ألا تقتلي تموتي**

**هذا حمام الموت قد صليت**

**وماتمنيت فقد أعطيت**

**إن تفعلي فعلهما هديت**

**هؤلاء الثلاثة – حسان وكعب وعبد الله – هم شعراء المسلمين في المدينة ، الذين دافعوا عن الرسول ،وناقضوا المشركين ، وصوروا الحرب الكلامية من الجانب الاسلامي ، وهؤلاء الذين أنزل الله فيهم قوله : ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ) مستثنيا إياهم من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون .**

**ولقد رأينا من خلال العرض الموجز لحياتهم وشعرهم الأثر الديني الجديد ، فقد استطاعوا أن يرددوا معاني القرآن وألفاظه ، كما استطاعوا محاججة المشركين ومباهاتهم بفضل الاسلام عليهم ،ولكن مع ذلك فهم لم يوفقوا كل التوفيق في استيعاب المثل والمعاني الدينية وعرضها في شعرهم بشكل عميق فيه جانب من الفلسفة والتأني والتفكر العميق ولعل أسباب ذلك التقصير عن تمثيل المعاني الدينية تكمن في :**

1. **ان الشعراء أنفسهم ما استطاعوا بعد فهم الدين الاسلامي ذلك الفهم الذي يتعمق نظمه ومبادئه بحيث يتهيأ لهم التعبير عن كل ذلك بأصالة ووضوح**

**ويبدو انهم شغلوا ودهشوا بأمور أخرى كثيرة كالحروب والعبادات والجوانب الفقهية واسلوب القرآن ونظمه ، كل ذلك لم يهيئ لهم الفرصة لفهم الدين واستيعاب جزئياته فهما متأنيا واضحا عميقا يتيح لهم التعبير المتعمق والناضج**

1. **أن أثر الحركات الدينية والفكرية ، وكذلك الثورات لايظهر واضحا كاملا في وقت مبكر ، بل لابد أن تمر فترة كافية تستقر فيها النفوس والأذهان . ولذلك نرى ان ثمرة الثقافة الدينية الاسلامية ظهرت بعد حين في نهاية العصر الاموي والعصر العباسي على شكل ظواهر شعرية ناضجة كظاهرة النقائض وظاهرة الغزل العذري والحسي ، والشعر الصوفي ، وظاهرة المقامات وغيرها ، لأن الشاعر والاديب كانت له فسحة زمنية أتاحت له التفكر والتدبر والاستنتاج .**

**ثانيا : شعراء البادية**

**كعب بن زهير بن أبي سلمى ( 24) :**

**شاعر مخضرم ،هو كعب بن زهير ، ابن الشاعر الجاهلي المعروف زهير بن أبي سلمى من شعراء البادية ، من شيوخ الشعر ومتقدميهم وفحولهم في عصره ، أخوه بجير وكان شاعرا ايضا ، ينتمي كعب الى مدرسة الصنعة الشعرية فهو ليس شاعرا مطبوعا كحسان بن ثابت ، ومدرسة الصنعة الشعرية مدرسة مشهورة في الادب العربي القديم يقوم أصحابها بتهذيب الشعر وتنقيحه حتى تصل القصيدة الى النضج فيخرج بها صاحبها الى الناس مستوية ليس فيها ضعف ولا ارباك ، ويقال ان القصيدة قد تمكث حولا كاملا عند شاعر الصنعة ، وهو خير الشعر كما قال القدماء (25) : ( خير الشعر الحولي المحكك) أي الذي يمكث حولا كاملا والمحكك هو الشعر المنقى والمرتب من الشوائب والهنات .**

**عرف كعب بموقف الخصومة والعداء للاسلام في أول أمره ، وقال شعرا يهجو به الرسول واصحابه فأهدر الرسول دمه (26) ، ولكنه أسلم بعد ذلك وقال قصيدته الشهيرة ( البردة ) يعتذر فيها من الرسول ويمدحه فعفى عنه الرسول .**

**لكعب ديوان شعر وصل برواي أبي سعيد السكري ، وبتحقيقات عدة ، وقد وصلنا ديوانه كاملا ، عرف كعب بشاعريته المتميزة في الجاهلية ولذلك وضعه ابن سلام في الطبقة الثانية من الشعراء وذلك في كتابه ( طبقات فحول الشعراء ) وذلك لجودة شعره ومتانته ، وأساليبه الرصينة التي جعلت النقاد يفضلون شعره عن سواه من معاصريه ، ولعل أروع ما أثر عن كعب قصيدته الرائعة ( البردة ) ، التي تميزت بجمالها وروعتها ، واظن أن شهرة القصيدة جاءت من خلال التكريم العظيم الذي ناله كعب من الرسول بعد سماعه لها ، وهو أنه خلع بردته الشريفة وألبسها كعبا .**

**قصيدة البردة ( عرض وتحليل )**

**مناسبة القصيدة : ذكرنا أن كعبا كان يضمر العداء والخصومة للاسلام في بداية الامر وبخاصة حين أسلم أخوه بجير ، فقد جائء في خبر اسلامه أن كعبا وأخوه خرجا لغنمهما يوما وجرى حديث بينهما عن الدين الجديد ( الاسلام ) وكان قد ذاع أمره وانتشر وأقبل كثير من الناس عليه ، وكان الرسول قد هاجر واتباعه من المسلمين الى المدينة ، فاتفق كعب واخوه بجير أن يذهب بجير ليعرف أمر هذا الدين ويلتقي الرسول على ان يبقى كعب ينتظر عودته بالخبر اليقين ، وهكذا ذهب بجير وبقي كعب ينتظر ، وطال انتظاره ولم يأت بجير ، ذلك لأن بجيرا التقى الرسول في المدينة وسمع منه واهتدى وأسلم ، فوصل خبر اسلام بجير الى كعب فثار كعب وغضب وزاد حقدا على الاسلام وعلى اخيه ، وصار يقول شعرا في هجاء المسلمين والرسول ، كما أرسل شعرا لأخيه فيه من هذا اللوم والهجاء للرسول يقول فيه : (27)**

**ألا ابلغا عني بجيرا رسالة فهل لك ويحك فيما قلت ويحك هل لكا**

**سقالك ابو بكر بكأس روية فأنهلك المأمون منها وعلكا**

**ففارقت أسباب الهدى وتبعته على أي شيئ ويح غيرك دلكا**

**على مذهب لم تلف أما ولا أبا عليه ولم تعرف عليه أخا لكا**

**فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ولا قائل أما عثرت لعا لكا**

**ولعل هناك شعرا غير هذا ، وأكثر تأثيرا وايلاما قاله كعب في هجاء الرسول والمسلمين ضاع مثل باقي الشعر الذي فيه اساءة للرسول ، ومع هذا فان في هذا الشعر اساءة واضحة وتأثير كبير على المسلمين وهم في بداية الدعوة الاسلامية ولذلك أهدر الرسول دمه بعد سماع هذا الشعر وربما غيره أشد منه مما ضاع من شعر قائلا : ( من لقي منكم كعبا فليقتله ) فأخبره أخوه أن الرسول قد اهدر دمه، ورغبه في المجيئ والاعتذار من الرسول ليسلم ، وقد كتب اليه هذه الابيات : (28)**

**من مبلغ كعبا فهل لك في التي تلوم عليها باطلا وهي أحزم**

**الى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنجوا إذا كان النجاء وتسلم**

**لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من النار إلا طاهر القلب مسلم**

**فدين زهير وهو لا شيئ غيره ودين أبي سلمى علي محرم**

**ولكن كعبا ظل سادرا في غيه وضلاله ، حتى تدبر أمره ، وتفكر في مصيره ، ورأى ان الفوز قد تحقق للمسلمين ، وأيقن ان النبي لايهدد عبثا ، عنئذ حاول النجاة ، فالتجأ الى مزينة قبيلته لتجيره فأبت عليه ذلك ، فضاقت عليه الأرض ، وأشفق على نفسه ، وحار في أمره بعد ان تخلى عنه قومه واصحابه وبعض اهله وتركوه لمصيره ، فبدأ يراجع ماقاله له اخوه بجير وعندها أعد كعب قصيدته المشهورة في مدح النبي وطلب العفو منه ، ثم خرج الى المدينة وذلك سنة تسع للهجرة ، ودخل المسجد متخفيا فاذا صار بين يدي الرسول وكشف عن نفسه تأهب الانصار لقتله فمنعهم الرسول عنه ، محاولا السماع منه ، وهكذا أذن له الرسول ان يسمعه ماقال من شعر ، فسمع حتى اذا انتهى من قصيدته عفى عنه الرسول واعطاه الامان وخلع بردته وألبسها كعبا تكريما له**

**نص القصيدة (29) –**

**بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول**

**وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول**

**تجلوا عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول**

**شجت بذي شبم من ماء محنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمول**

**تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب سارية بيض يعاليل**

**أكرم بها خلة لو انها صدقت موعودها أو لو ان النصح مقبول**

**لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل**

**فما تدوم على حال تكون بها كما تلون في أثوابها الغول**

**ولاتمسك بالعهد الذي زعمت إلا كما يمسك الماء الغرابيل**

**ولا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأماني والأحلام تضليل**

**كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل**

**أرجو آمل أن يعجلن في أبد وما لهن طوال الدهر تعجيل**

**أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل**

**ولن يبلغها إلا عذافرة فيها على الإين إرقال وتبغيل**

**من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول**

**ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق إذا توقدت الحزان والميل**

**ضخم مقلدها فعم مقيدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيل**

**حرف أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شمليل**

**يمشي القراد عليها ثم يزلقه عنها لبان وأقراب زهاليل**

**عيرانة قذفت بالنحص عن عرض مرفقها عن بنات الزور مفتول**

**شد النهار ذراعا عيطل نصف ناحت فجاوبتها نكد مثاكيل**

**نواحة رخوة النبعين ليس لها لمانعى بكرها الناعون معقول**

**تفري اللبان بكفيها ومدرعها مشقق عن تراقيها رعابيل**

**تسعى الوشاة جنابيها وقيلهم إنك يابن أبي سلمى لمقتول**

**وقال كل خليل كنت آمله لا ألهينك إني عنك مشغول**

**فقلت خلو سبيلي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول**

**كل ابن انثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول**

**أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول**

**مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيه مواعيظ وتفصيل**

**لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت عني الأقاويل**

**لقد أقوم مقاما لو يقوم به أرى وأسمع مالو يسمع الفيل**

**لظل يرعد إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل**

**حتى وضعت يميني لا أنازعه في كف ذي نقمات قيله القيل**

**لذاك أهيب عندي إذ أكلمه وقيل إنك منسوب ومسلول**

**من خادر من ليوث الأسد مسكنه ببطن عثر غيل دونه غيل**

**إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول**

**في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا**

**زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل**

**شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داوود في الهيجا سرابيل**

**بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنها حلق القفعاء مجدول**

**لا يفرحون إذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا**

**لا يقع الطعن إلا في نحورهم ومالهم عن حياض الموت تهليل**

**يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرض السود التنابيل**

**تحليل القصيدة :**

**القصيدة من القصائد الطويلة المكتملة نظمها الشاعر كعب بن زهير في ظرف خاص ، فقد أهدر الرسول دمه ، وتخلت عنه قبيلته مزينة ، وتخلى عنه الصديق والاخ والاهل ، كان قلقا خائفا يترقب وهو يتوجه الى الرسول في المدينة ، لايدري قد يصل أو يقتل في طريقه اليه ، وإن وصل قد يعفو عنه الرسول وقد لا يفعل ذلك ، فرحلته مجازفة لا تخلو من خطورة ، هذه هي ظروف الشاعر حين توجه بقصيدته للرسول**

**القصيدة يمكن تقسيمها الى أجزاء هي :**

1. **الجزء الأول : المقدمة أو المطلع أو الاستهلال ، وقد استهل الشاعر قصيدته بالغزل ، فالغزل هو مقدمة القصيدة .**
2. **الجزء الثاني : التمهيد ، وكان وصف الناقة تمهيدا للقصيدة**
3. **الجزء الثالث : موضوع القصيدة ، وكان مديح الرسول والاعتذار منه هو موضوع القصيدة .**

**الجزء الأول : الغزل :**

**يبدأ الشاعر قصيدته بالغزل وهو بذلك ينتهج نهجا تقليديا ، وكعب عند نظمه لهذه القصيدة فقد نظمها وهو لازال في زمن جاهليته ، ولم يدخل الاسلام بعد ، ويلاحظ أنه لم يبدأ بالطلل إذ وجد الغزل موضوعا ثريا يتيح له الاشارة واللمح الى أمور كان يضمرها في نفسه ، والغزل كما هو واضح في النص استغرق ( 12 بيتا ) لاحظنا ان هذا الغزل يمكن أن يقسم على قسمين :**

1. **غزل ايجابي استغرق ستة أبيات ، وهي الأبيات الأولى من القصيدة ، إذ ان الشاعر وصف فيها حبيبته وصفا جميلا ، فقد تغنى بجمال صوتها وعينيها ، وبياض اسنانها ، فهو متيم بسعاد التي احبها واخلص لها مدى الدهر ، وقد أعطى صورة جميلة لها فهي ذات صوت عذب رخيم فيه غنة ، وذات طرف جميل مكحول ، وذات عوارض ( اسنان) مجلوة بيضاء اذا ابتسمت بان جمالها ، كما وصف ريقها مشبها إياه بالخمرة التي تمزج بالماء البارد العذب ، يلاحظ ان الشاعر في تغزله الايجابي هذا اعتمد الوصف الحسي لاظهار عناصر الجمال ، فصوره كلها مما يدرك بالحواس كالبصر والسمع واللمس ،**
2. **غزل سلبي : ويبدأ من البيت السابع ويستغرق ستة أبيات أخرى ( لكنها خلة قد سيط ... ) ويلاحظ ان الشاعر هنا انقلب على محبوبته الجميلة فبدأ هجومه عليها هجوما غير متوقع من حبيب لحبيبته فوصفها بالكاذبة ، لاينفع معها النصح ، متقلبة ، مخلفة للوعد ، تولعك وتبتعد فهي لعوب مخادعة ، متلونة كالغول ، تخلف وعودها ولا تصدق لاتكاد تمسك منها وعدا فهي كالغربيل حين يمر منه الماء . ويلاحظ ان هذا الوصف جاء خلاف الوصف في الحالة الاولى ( اظهار الصفات الجميلة ، اي الغزل الايجابي ) فقد جاء الوصف معنويا وليس ماديا أي لايدرك بالحواس كاكذب ،والغدر ، واخلاف الوعد وغير ذلك .**

**بعد هذا يقف القارئ المتدبر حائرا أمام هذا الغزل الذي يبدو فيه التناقض واضحا ، فهو مرة حلو جميل ( ايجابي ) ومرة قبيح ومعيب ( سلبي ) ، ونحن نرجح أن هذا الغزل ليس بالغزل التقليدي كما درج الشعراء واعتادوا في مطالع قصائدهم ، كما لانرجح أن يكون غزلا حقيقيا ذلك لأن الدلائل لاتشير اللى ذلك ، فالشاعر مهدور الدم ، خائف مرتعب يقف أمام حضرة الرسول الذي يمثل قمة الدين الاسللامي ، فهل من المعقول ان يتغزل الشاعر بحبيبته وهو بمثل هذا الظرف الصعب ، اذن ماذا يمكن أن نقول عن هذا الغزل ؟ وهل هو غزل حقيقي ؟ أم أراد الشاعر شيئا آخر ؟**

**كعب بن زهير هنا ما أراد ان يتغزل إنما أراد ان يشير ويرمز الى القبيلة التي تخلت عنه وتركته وحيدا لمصيره ، وما سعاد هنا الا رمزا للقبيله ، وهي السعادة الآفلة التي فارقته ، فسعاد هي قبيلة الشاعر مزينه بما فيها من القوم والاهل والأصحاب ، وهذا واضح اذ أنه وصفها وصفا ايجابيا واظهر الصورة الجميلة لها ، ذلك أن القبيلة كانت كذلك بالنسبة له قبل ان يهدر دمه وتتخلى عنه ، فهي مكان مولده ونشأته بربوعها تربى وبين أهلها نشأ قضى بين اهله أجمل أيام حياته ، آوته ، واحتضنته ، ودافعت عنه ، ورعته ، فهي جميلة حلوة ولابد ان يسبغ عليها صفات ايجابية ، ولكن القبيلة هذه لم تحافظ على عهدها معه فقد انقلبت عليه وتخلت عنه وكشرت عن أنيابها القبيحة وذلك حين أهدر الرسول دمه ولجأ اليها لحمايته ، ولكنها تخلت عنه وتركته وحيدا يلقي مصيره ، فهي متقلبة ، عديمة الوفاء ، تولعك ثم تفجعك ، متلونه كاذبة وهذا مامثله الجزء الثاني من الغزل في القصيدة .**

**الجزء الثاني : وصف الناقة**

**أما الجزء الثاني من القصيدة يبدأ بعد بيت انتقال موفق جدا وهو : ( أمست سعاد بأرض ...... ) فقد انتقل الشاعر انتقاله موفقة اذ استخدم الفعل الماضي أمسى فلم نشعر معه ان الشاعر انتقل الى غرض اخر وهو وصف الناقة والذي كان التمهيد في القصيدة ، فقد ذكر الشاعر ان السعادة امست بعيدة عنه لا يبلغها الا من خلال ناقة قوية صلبه تتحمل مشاق الرحلة والطريق ، حيث يوجد الأمل ، حيث الرسول الذي يطمع الشاعر ان يعفو ويصفح عنه .**

**يبدأ الشاعر في هذا الجزء وهو أطول وأصعب جزء في القصيدة بوصف ناقته التي حملته الى المدينة حيث الامان والعفو . أما أسباب طول هذا الجزء وصعوبة لغته ( اي الجزء الخاص بوصف الناقة ) فهي حسب اعتقادنا :**

1. **ان الشاعر أراد أن يظهر قدرته ومهارته اللغوية والفنية أمام الرسول كي ينال اعجابه ورضاه**
2. **أن الشاعر من شعراء الصنعة ومعنى هذا أنه يهذب ويشذب ويصقل ويعيد في صوره ولغته حتى تبدو جزلة قوية ذات جلال وهيبة ،وهذا هو ديدن شعراء مدرسة الصنعة**
3. **ان هذا الجزء هو الجزء الخاص بالناقة والناقة من لوازم الصحراء ، ومن لوازم البيئة البدوية القاسية الصعبة ، فلابد ان تكون لغة هذا الجزء منسجمه مع حيوان الصحراء وهوالناقة ، بل أكثر الحيوانات ألفة مع الصحراء واكثرها تعبيرا عن الصحراء ، وبقدر ماتكون البيئة صعبة قاسية غريبة تكون لغة التعبير بنفس المستوى من ذلك .**
4. **لعل الشاعر أطال في هذا الجزء وجعله أكثر صعوبة لأنه اراد ان يجذب شفقة السامع ( وهو الرسول ) ويستدر عطفه ويصور هول الرحلة ومعاناته فيها ، فكلما كانت الرحلة طويلة وشاقة صعبة وهذا ماصوره شكلا ( من خلال اللغة ) ومضمونا ( من خلال الوصف ) كلما كان وقع ذلك على السامع كبيرا ومردوده ذات نفع وجدوى للوصول الى الهدف وهو عطف الرسول وعفوه .**

**ويلاحظ ان الشاعر في هذا الجزء بدأ بوصف الناقة وأضفى عليها صفات مادية حسية مرة ومعنوية مرة أخرى حاول ان يظهر ناقته بانها قوية صلبة مقتدرة ، تتحمل مشاق السفر ، وهي من صنف أصيل من النوق رشيقة لها رقبة غليظة واطراف صلبة ودقيقة في ذات الوقت لها جلد أملس ينزلق عليه القراد والحشرات الاخرى ، نبيهة تهتدي في الظلمات لانها اعتادت المسير في المتاهاتةوالظلم ، وحين ينتهي من الوصف المادي ينتقل الى الوصف المعنوي فيجعل نت الناقة انسان يشعر ويتألم ويحزن ، ويشبهها بأمرأة تلطهم خديها وتشق ثوبها حزنا على وحيدها ، فهي ذات شعور واحساس ، ويبدو انه اتخذ منها قناعا يتقنع به فالناقة هو وهو الناقة في شعوره واحساسه ، فهي تصلح أن تكون معادلا موضوعيا لشخصه هو .**

**الجزء الثالث : المديح والاعتذار :**

**والشاعر وقبل البدء في الجزء المهم والاساس في القصيدة وهو مدح الرسول ، يظهر عبقريته وذكاءه فيمهد قبل المدح والاعتذار بأبيات يشكو فيها حاله ، ويبين ظرفه اذ بات وحيدا وقد تخلى عنه الاصحاب والأهل بعد أن وعدوه بالمساعدة واغروه بهجاء الرسول ثم ابتعدوا وتنكروا له ، واكدوا انه سيقتل لا محاله لأن الرسول لن يرحمه ولكنه يأمل غير ذلك ويطمع برحمة الرسول وعفوه ، تتجسد هذه الابيات وعددها خمسة أبيات من ( تسعى الوشاة ..... ... الى .. فقلت خلوا .... ) نرى فيها كعبا يتحدث عن الوشاية والوشاة ، وتحذيرهم له ، وانشغال الناس عنه، كما نلاحظ استعانته بمعان اسلامية ( فكل ماقدر الرحمن مفعول ) فهو يؤمن بالقضاء والقدر ، وقوله ( كل ابن انثى وإن طالت سلامته ..... ) ايمانه بحتمية الموت والرضى بقضاء الله ، وبهذه المعاني مهد الشاعر للدخول الى مدح الرسول الذي يبدأ في البيت ( أنبئت أن رسول الله أوعدني )**

**وهنا أجاد الشاعر اختيار العبارات والالفاظ المناسبة لشخص الرسول اذ خاطبه بأحب ألقابه ( رسول الله ) مرتين في البيت الواحد ثم خصه بالعفو والامل المرجو والرحمة ، وخصه بمعجزة القرآن الكريم ومابه من حكم ومواعيظ وتفصيل لكل مايخص حياة الناس ويترجى أن لا يأخذه الرسول بقول الوشاة فقد يكون مظلوما ، ثم يصف هيبة مقام الرسول وجلاله وخوفه من هذه الهيبة والوقار الذي جعله يرتعد اجلالا وهيبة من مقامه الكريم ، ثم شبه شجاعة الرسول بشجاعة الاسد وهيبته ، وشبهه كذلك بالنور الذي يبدد الظلمة فهو مصدر الهداية للبشر ، ثم يأتي على مدح المهاجري الذين خصهم بأبيات دون الانصار فوصفهم بالشجاعة ، ونفى عنهم صفة الجبن ، ووصفهم بأبطال الحروب ، كما وصف عدتهم للحرب، ووصفهم بالرفعة والسمو والكرامة ( شم العرانين ) ، وختم قصيدته بالتعريض بالانصار لأنهم هموا بقتله حين دخل على الرسول ، فأضمرها لهم فهجاهم وقال عنهم ( سود تنابيل ) اي وصفهم باللؤم وحقارة المنظر وهذا مالم يعجب جمع المسلمين والرسول فنظم فيهم قصيدة مستقلة يعتذر عما قال فيهم .**

**وبعد فقصيدة البردة نظمت على البحر البسيط ( مستفعلن مستفعلن فاعلن ) تتكرر هذه التفعيلة ، ويلاحظ ان البسيط جاء مناسبا لموضوعات القصيدة المتعددة وانفعالات الشاعر المتكررة فجاءت تفعيلاته المتكررة مستوعبة لكل هذا ، أما القافية فهي حرف اللام وكما هو معروف ان اللام من القوافي الذلل اي السهلة الميسرة التي تنتج كلمات كثيرة وهذا يتناسب مع طول القصيدة ، بنيت القصيدة بناء متكاملا تنوعت اغراضها وتعددت ، أما لغتها فقد تنوعت هي الاخرى مابين لغة غريبة صعبة كما في الجزء الخاص بالناقة ، ولغة سهلة واضحة كما في مدح الرسول ومدح المهاجرين ، توفرت القصيدة على صور فنية من تشبيه واستعارة ومجاز ، وحقا كان كعب بن زهير في هذه القصيدة شاعر الصنعة وابن زهير بن أبي سلمى إذ كان مقتدرا متمكنا من جلال القول وقوته وجزالته واحكام الصنعة الشعرية ،**

**أما التكريم فكان أكبرمن توقع الشاعر ، وكان من الممكن أن يكتفي الرسول بالعفو والصفح وهذا أقصى ما كان يريده الشاعر ولكن الرسول خلع بردته وكرمه تكريما لم يحضى به شاعر قبله ، ويبدو أن سبب ذلك أن الرسول اراد ان يرفع الحرج عن كل الشعراء الذين أساءوا للاسلام والرسول فيعيدهم الى المجتمع الاسلامي أعضاء فاعلين يساهمون في بناء الدولة الاسلامية ، فهذا التكريم لم يختص بكعب وحده إنما كل الشعراء الذين ابعدوا انفسهم تحرجا وخجلا مما فعلوا .**

1. **النابغة الجعدي (30) :**

**هو من شعراء البادية الذين تأثروا بالاسلام ، هو عبد الله بن قيس من بني جعدة ، شاعر مخضرم ، يقال أنه ظل في الجاهلية ثلاثين عاما لا ينطق بالشعر ، ثم تفجر الشعر على لسانه فجأة فسمي بالنابغة لنبوغه فيه متأخرا ، ويقال ان نبوغه في الشعر إنما كان في الاسلام ، النابغة من الشعراء الفحول ، مع انه كان مغلبا أي غلب من الشعراء ، أدرك الاسلام ، وأسلم مع قبيلته جعده سنة 9 للهجرة ، وتأثر شعره بالاسلام ، وشارك في الفتوحات الاسلامية ، وقال شعرا فيها ، نال النابغة الجعدي محبة الرسول ، وحاز شعره على رضاه بحيث دعا له وشجعه وله قصيدة اعجب بها الرسول قالها يوم وفد عليه مع قومه ليدخلوا الاسلام وفيها يقول : (31)**

**أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا**

**وجاهدت حتى ما أحس ومن معي سهيلا إذا ما لاح ثمت غورا**

**أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أوجرا**

**ويمضي في القصيدة حتى اذا بلغ قوله :**

**بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا**

**فقال له الرسول : ( فأين المظهر يا أبا ليلى ) قال : ( الى الجنة )**

**فقال له الرسول : ( قل إن شاء الله ) قال : ( إن شاء الله ) ثم أثنى عليه الرسول بقوله : ( أجدت لا فض الله فاك ) (32) .**

**لقد شهد النابغة عهد الرسول وعهد الخلافة ، وجانبا من عهد الامويين ، وكان له اثر في كل هذه العهود ، وقد اشترك في الفتنه التي كانت نهاية العصر الراشدي بين الامام على ومعاوية ، وانحاز الى الامام علي ، فمدحه ، وهجا خصومه ، فقال :(33)**

**قد علم المصران والعراق**

**إن عليا فحلها العتاق**

**أبيض جحجاح له براق**

**وأمه غالي بها الصداق**

**أكرم من شد به نطاق**

**إن الألى جاروك لا أفاقوا**

**ومن شعره الاسلامي المستوحى من مبادئ وقيم الاسلام ، وألفاظ القرآن ومعانيه قوله ، وقد أوردناها في أغراض الشعر الجديدة ( الشعر الديني ) نذكر منها مهنا : (34)**

**الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما**

**المولج الليل في النهار وفي الل ل نهارا يفرج الظلما**

**الخافض الرافع السماء على الأ رض ولم يبن تحتها دعما**

**يتميز شعر النابغة الذبياني بشيوع الروح الاسلامية فيه شكلا ومضمونا، جزالة الالفاظ وقوتها ودقة المعاني وعمقها ، المحافظة على الديباجة القديمة في كثير من قصائده ، اي افتتاحها بالطلل او الغزل وتعدد موضوعاتها ، واستخدام ابيات الانتقال .**

**الحطيئة : ( 35)**

**من شعراء البادية الذين لم يتأثروا بالاسلام أو كان تأثرهم به ضعيفا ، إذ كان اتصالهم بالاسلام متأخرا ، اسمه جرول ولقب بالحطيئة لقصره ودمامته ( قبحه ) كنيته أبو مليكة ولد الحطيئة ولم يعرف له نسب صريح ، أمه كانت أمة لأوس بن مالك العبسي ونشأ عنده مغمور النسب ، وكان لهذا أثرا كبيرا في حياته ، عاش الحطيئة حقيرا في قومه ، وكان مثقلا بعائلة وله بنات عدة ، عانى من شظف العيش وقسوة الحياة ، لذلك اتخذ من الشعر متنفسا لهمومه ووسيلة لعيشه وابنائه ، ويبدو ان للعامل النفسي أثر في طبيعة شعره الذي غلب عليه الهجاء .**

**والحطيئة شاعر مخضرم وهو شاعر فحل كبير تيقظت في نفسه موهبة الشعر وهو صغير وكان ملازما للشاعر زهير بن أبي سلمى ، وكان راوية لشعره هو وابنه كعب ، وتعلم إحكام صنة الشعر ، وعليه فإن الحطيئة ينتمي الى مدرسة الصنعة الشعرية (مدرسة زهير ) وهو ليس شاعرا مطبوعا ، وهذه المدرسة عرفت بتهذيب الشعر وتشذيبه والاهتمام بصنعته .، وفي ذلك المعنى يقول الاصمعي : ( زهير والحطيئة وأشباههما من عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ) ، أما أبو عبيدة فيعجب بشعره قائلا : ( كان الحطيئة متين الشعر شرود القافية ) ، أي يأتي القوافي الصعبة . ( 36)**

**أما إسلام الحطيئة فكان متأخرا إذ انه لم يكن مع الوفود التي أسلمت في حياة الرسول اي في السنة التاسعة للهجرة ، ويرى ابن قتيبة أنه لم يسلم إلا بعد وفاة الرسول ، وكان في اسلامه رقيقا ضعيف الدين ، وكان مع المرتدين بعد وفاة الرسول وقال شعرا ذائعا في الردة يحرض على قتال المسلمين والاستهزاء بهم ، يقول فيه : (37)**

**فقوموا ولا تعطوا اللئام مقادة وقوموا وإن كان القيام على الجمر**

**أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا عجبا مابال دين أبي بكر**

**أيورثها بكرا إذا مات بعده فتلك لعمر الله قاصمة الظهر**

**ولما دحرت فلول المرتدين وقع الحطيئة أسيرا ، ويقول الطبري(38) أنه أقلع عن الكفر وحسن اسلامه ، ولكن الحطيئة لم يخرج في معظم شعره عن دائرة الشعر الجاهلي ، في طريقته وخياله ونسجه ، وايضا في أغراضه ، فقد عكس شعره بعضا من اخلاق وعادات تنكر لها الاسلام كقوله يهجو أمه : (39)**

**ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بنيك فساءني في المجلس**

**إن الذليل لمن تزور ركابه رهط ابن جحش في الخطوب الحوس**

**قبح الإله قبيلة لم يمنعوا يوم المجيمر جارهم من فقعس**

**أبلغ بني جحش بأن نجارهم لؤم وأن أباهم كالهجرس**

**فالهجاء بلؤم الأصل ، وضعة النسب ، وقلة المروءة ، والقعود عن حماية الجار ، كل ذلك من سمات الهجاء الجاهلي ، والتي جاء الاسلام بإبطال كثير منها ، ويلاحظ ان الاسام قيد من حرية الحطيئة الشاعر الهجاء ، وكان الخلفاء يضربون على أيدي الشعراء الذين يفحشون في القول ، ويعدون حدود الاسلام ، ويروى أن الحطيئة هجا الزبرقان بن بدر ، وكان من سادات العرب ، ولعل اكثر أبياته إيلاما للزبرقان قوله : (40)**

**دع المكارم لاترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي**

**وشكاه الزبرقان الى الخليفة عمر بن الخطاب فحبسه الخليفة ، فقال شعرا يستعطفه به وكان مؤثرا يقول فيه : (41)**

**ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر**

**ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله ياعمر**

**أنت الأمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشر**

**فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر**

**فأخرجه الخليفة عمر من الحبس قائلا له : إياك وهجاء الناس ، فقال : إذن يموت عيالي جوعا ، فهذا مكسبي ، ومنه معاشي ، فقال عمر : لولا أن تكون سنة لقطعت لسانك ، ويقال أن عمر اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم .**

**أثر حياة الحطيئة وظروفه الشخصية على ىشعره :**

**هنلاك ارتباط كبير وواضح بين حياة الحطيئة وظروفه الصعبة التي عاشها وطبيعة شعره ، وأساليبه ، واتجاهات الشعر لديه ، وحتى يتضح هذا الارتباط لابد ان نطلع على طبيعة هذالحياة والنمنغصات التي اعترت حياة الحطيئة لندرك كيف أثرت في شعره ،**

**عاش الحطيئة حياة صعبة في جاهليته وامتدت حتى اسلامه ولكن الأ سس الاولى كانت في الجاهلية ، فقد عاش في مجتمع لايرحم ، الغلبة والتقدير والاحترام فيه لاتكون إلا لمن امتلك مؤهلات هذا الاحترام والتقدير ، والحطيئة فقد كل هذه المؤهلات تقريبا ، ولم يمتلك منها شيئا ، فما هي هذه المؤهلات التي على اساسها تقاس قيمة الفرد وتقدر شخصيته ؟؟؟**

1. **أولها المال والثروة ، فبقدر مايملك الشخص منها يكون تقديره في المجتمع ، فكلما زادت زاد التقدير ، وكلما قلت قل التقدير ، وإذا انعدمت انعدم التقدير والاجلال والمهابة ، والحطيئة كان فقيرا معدوما يتسول ويسأل الآخرين للحصول على قوت عياله**
2. **الحسب والنسب الصريح والقوي ، فالعربي في المجتمع البدوي خاصة يتفاخر بنسبه ، آبائه وأخواله، وأجداده فكلما كان نسبه قويا صريحا متصلا بقبائل قوية وآباء وأجداء ذوي رفعة ومكارم وأمجاد كان مسلحا بالعزة والقوة ، ومن أعدم ذلك كان مهانا محتقرا يلمزه الآخرون ويسخرون منه، وهكذا كان الحطيئة ، لا يعرف له أب واضح ولا نسب صريح ، ويصرح بذلك في قوله لائما أمه متسائلا عن أبيه، فكان جوابها أن أضاعت عليه هذا النسب ، فيقول : (42)**

**تقول لي الضراء لست لواحد ولا اثنين فانظر كيف شرك أولئكا**

**وأنت امرؤ تبغي أبا قد ضللته هبلت ألما تستفق من ضلالكا**

1. **الشكل والوسامة والقوة الجسمانية ، وهي ايضا من مكملات شخصية الرجل فطالما كان الرجل الوسيم محط انظار النساء واعجابهن ، وكذلك القوة والقدرة الجسمانية قد تكون مثار اعجاب الاخرين وبابا من أبواب تحصيل الرزق ، ولكن الحطية لم يمتلك من ذلك شيئا ، فيروى أنه كان قصيرا دميما ولذلك سمي حطيئة لأنه قصير ( لقصره وقربه من الارض ) ، كان ضئيل الجسم ، قبيح الوجه رث الهيئة ، صغير العينين ، قال عنه الاصمعي واصفا : ( كان الحطيئة جشعا سؤولا ملحفا ، دنئ النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلا ، قبيح المنظر ، رث الهيئة ، مغمور النسب ، فاسد الدين ، وماتشاء أن تقول في شاعر من عيب إلا وجدته ، وقلما تجد ذلك في شعره ) (43)**

**إذن عاش الحطيئة في غربة نفسية في ذلك المجتمع الصعب ذات المقاييس الصعبة ليس له من المؤهلات التي تجعله منسجما مرتاحا بين أفراد المجتمع ، لا يملك شيئا غير الموهبة الشعرية التي حاول ان يستغلها خير استغلال ، وأن يعوض بها ما فاته من نقص ، وهكذا فعل الحطيئة فاتجه بشعره اتجاهات حددتها ظروفه التي عرفناها فكان لهذه الظروف أثر شكلي وآخر مضموني على شعره .**

**من حيث الشكل :**

**أما من حيث الشكل فقد أكثر الحطيئة من المقطوعات في شعره ، ومن يطلع على ديوانه يجد غلبة المقطوعات على القصائد لديه ، وهذه المقطوعات تناسب الحطيئة وحياته أكثر من الطوال ، فالشعر لديه تجاره رائجة ووسيلة لتحصيل المال ، وعليه ان يكثر منه ويسرع، والمقطوعات تخدمه أكثر من القصائد في هذه الحالة ، فهو في تعامل مع الناس يمدح ليعطى المال ، فإن لم يعط ما يكفي فهناك مقطوعة محضرة جاهزة في الهجاء .**

**ويمكن أن نعد الأسلوب المضحك الساخر ، ورسم الصور الكاريكاتيرية لمهجويه ، والمبالغة في ذلك جانبا شكليا آخر كانت لظروفه وحياته ومعاناته دورا لظهورها وولع الشاعر بها ، ونجاحه في اتخاذها وسيلة للنيل من الاخرين .**

**من حيث المضمون :**

**ومن حيث المضمون ، فيلاحظ غلبة شعر الهجاء في ديوانه أكثر من الأغراض الاخرى ، وهذا أيضا ينسجم مع حياة الحطيئة ، فالهجاء وسيلته للحصول على المال ، فهو لا يمتلك وسيلة أخرى غير الشعر لذلك استغل شعره أحسن استغلال ومن حيث المضمون كذلك نجد شيوع المديح لديه فهو وسيلته للحصول على المال ، وقد انتهج أسلوب التكسب في المديح وكذلك الهجاء ، وكما قلنا كان الشعر لديه تجاره رابحه ، حتى وصل التكسب لديه حد التسول ، أي اذلال النفس والتلويح بالهجاء إن لم يعط المال ، هكذا كان تعامل الحطيئة مع ممدوحيه .**

**من حيث الاسلوب :**

**ومن أساليب الحطيئة التي يبدو أنها أثرا من آثار ظروفه المؤلمة وحياته الصعبة أسلوب السخرية ، والاستهزاء ، وإضحاك الآخرين من حاله وشكله ومن امه وابيه وخاله وعمه ، إذ هجاهم بأسلوب ساخر وصب غضبه عليهم ، وهذا أسلوب متفرد في الهجاء يتولد من عقدة نقص لدى الشخص الفاقد لشيئ ما ، فيحاول ان يعوض ذلك النقص بالسخرية من نفسه ، وهكذا كان الحطيئة لديه عقدة نفسية حاول ان يتجاوزها ويسد ثغرة ذلك النقص من خلا هذا الاسلوب الساخر ، فنراه مثلا يهجو نفسه حين رأى وجهه في صفحة ماء : (44)**

**أبت شفتاي اليوم الا تكلما بسوء فلا أدري لمن أنا قائله**

**أرى لي وجها قبح الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله**

**وفي هجاء امه يقول : (45)**

**جزاك الله شرا من عجوز ولقاك العقوق من البنين**

**تنحي فاجلسي منا بعيدا أراح الله منك العالمينا**

**أغربالا إذا استودعت سرا وكانونا على المتحدثينا**

**ألم أوضح لك البغضاء مني ولكن لا أخالك تعقلينا**

**حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا**

**ولكن شعر الحطيئة ليس كله على هذه الشاكلة ، أي ليس كله مقطوعات قصيرة ، وليس كله هجاء ومديح تكسبي ، وليس كله قائم على السخرية ، بل لديه قصائد وموضوعات بعيدة عن ذلك ، وهي حقا يمكن أن تعد وتنسب لشاعر من شعراء مدرسة الصنعة الشعرية ، وعليه فإن تقييم الحطيئة لايكون من خلال شعره الذي ورد على شكل مقطوعات في الهجاء أو المديح التكسبي لان مثل هذا الشعر: إما مهنة أو تجارة أراد الانتفاع منها ، لكسب عيشه ، أو تعبير عن عقدة اراد التنفيس بها عن نفسه والتعويض عن النقص الذي لحق به نتيجة ظروفه الخاصة.**

**إذن كيف نقيم الحطيئة ؟ وأي نمط من شعره يكون صالحا لتقييمه ، وعده واحدا من شعراء مدرسة الصنعة الشعرية ؟**

**الجواب على ذلك : ان شعر الحطيئة يمكن ان نقسمه على قسمين :**

1. **القسم الاول: ماكان ضمن دائرة التكسب كالمديح والهجاء التكسبي ، وما كان لغرض السخرية والتعبير عن عقدة النقص ، ومثل هذا الشعر لايمكن ان نقيم شاعرية الحطيئة عليه ، اي انه ليس مقياسا للتقييم**
2. **شعره الذي وقع خارج دائرة التكسب كشعر الوصف ، والنسيب ، والمديح الخالص ، شعر القصائد الطويلة ذات البناء الفني المتكامل ، فهو شعر تمثلت فيه كل مقومات الشعر الجيد من قوة وفخامة وجدية ووضوح واشراق . وعلى مثل هذا الشعر يقوم الحطيئة أي النمط الثاني الذي كان خارج دائرة التكسب المادي وخارج السخرية والهجاء ، وخارج كونه مقطعات ومن شعره هذا ماقاله في وصف كرم أعرابي : (46 )**

**وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل بتيهاء لم يعرف بها ساكن رسما**

**أخي جفوة فيه من الأنس وحشة يرى البؤس فيها من شراسته نعمى**

**وأفرد في شعب عجوزا إزاءها ثلاثة أشباح تخالهم بهما**

**حفاة عراة مااغتدوا خبز ملة ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما**

**رأى شبحا وسط الظلام فراعه فلما بدا ضيفا تسور واهتما**

**وقال ابنه لما رآه بحيرة أيا أبت اذبحني ويسر له طعما**

**ولا تعتذر بالعدم عل الذي طرا يظن لنا مالا فيوسعنا ذما**

**فروى قليلا ثم أحجم برهة وإن هو لم يذبح فتاه فقد هما**

**وقال هيا رباه ضيف ولا قرى بحقك لا تحرمه تالليلة اللحما**

**فبينا هما عنت على البعد عانة قد انتظمت من خلف مسحلها نظما**

**عطاشا تريد الماء فانساب نحوها على أنه منها الى دمها أظما**

**فأمهلها حتى تروت عطاشها فأرسل فيها من كنانته سهما**

**فخرت نحوص ذات جحش سمينة قد اكتنزت لحما وقد طبقت شحما**

**فيا بشره إذ جرها نحو قومه ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى**

**فباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم فلم يغرمواغرما وقد غنموا غنما**

**وبات أبوهم من بشاشته أبا لضيفهم والأم من بشرها أما**

**والقصيدة كما هو واضح في وصف قيمة خلقية اجتماعية عربية اصيلة هي الكرم ، استطاع الحطيئة تجسيد هذه القيمة العربية من خلال قصة شعرية تمثيلية رائعة ، توصل من خلالها الى تمجيد هذه الخصلة وابرازها ، وقد اعتمد الاسلوب القصصي كما هو واضح وعمل على ايجاد عناصر هذه القصة من شخصيات ، وهي هنا الاب والام والاولاد ، أما عنصر المكان، فكان صحراء قاحلة ( تيهاء ) فيها وحشة وبؤس وضياع وجوع أما الزمان فكان الليل والظلام ، أما الحبكة فهي الاحداث المتسلسلة منذ ان حل بهؤلاء الجياع الضيف وهم في حيرة من أمرهم ، حتى غادر وقد غنم الطعام وهم كذلك غنموا اطعامه وقضاء حق ضيافته ، أما العقدة فكانت حيرة الاب كيف يقري ضيفه وهو جائع ومعه صبية جياع ، فما كان منه الا أن يذبح احدهم ويقدمة طعاما لضيفه، ثم جاء الحل باقتراب صيد سمين وفق في صيدة وتقديمه للضيف .**

**ويلاحظ ان القصيدة تميزت بالجزالة والقوة في لغتها ، كذلك بتوفرها على النزعة القصصية التمثيلية ، مع توفرها على عناصر القص كما أشرنا ، كذلك تميزت القصيدة بالابتعاد عن الغريب وحشو الكلام ، وهذا ما نعتقد أنه منهج شعراء الصنعة في شعرهم ، نلاحظ كذلك الطابع البدوي ولكن بوضوح واشراق دون إغراب ووحشية ، ويبدو ان الحطيئى تأثر بالحضارة والاسلام فكان عاملا في جعل اللغة واضحة بعيدة عن الاغراب ، ويمكن أن نعزو الوضوح ايضا للطابع القصصي الذي اعتمده الحطيئة في هذه القصيدة فللقصة دور في جعل اللغة سهلة لماتحتويه من حوار واحداث منقوله من الواققع. ولعل هذه السمات التي تميزت بها هذه القصيدة تشمل شعر الحطيئة كله أو الغالب منه .**